مروج النور
في الذب عن الصِّدِّيقة الطهور

إعداد
سيد علي شعبان



البحث الفائز
بالمركز الثاني
في مسابقة



برعاية
مجموعة آل الشيخ التجارية

مقدمة

الحمد لله كما يحب ويرضى والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

فقد مَنَّ رب العالمين على كاتب هذا البحث بالمشاركة في تحقيق تلك الغاية النبيلة، والتي نصب الكل أقلامهم، ومن ورائها قلوبهم وأرواحهم؛ للذود عن أمنا الصديقة المبجلة؛ عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها.

لاسيما في هذا الزمان الذي كثُرت فيه قالة السوء، وجماعات الإفك، من الطاعنين في عِرض النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، منتسبين نسبةَ الكَذِبِ إلى آله، وهم يطعنون فيه، ويهدمون بفئوس الحقد سياج الشرع الأغر، بالاعتداء الآثم، والحقد المتوقد، والطعن الغادر المتجرئ، في مثال العفة السامية، والنقاء الرفيع؛ أمنا وحبيبة نبينا صلى الله عليه وسلم؛ عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وأرضاها.

وعندما استدار القلم تجاه هذه السماءِ العالية، تداعت إليه المعاني جاهدةً أن تنال شرف الذب عن أمنا الصديقة، فاهتديت إلى أن أجعل حديثي عن ملكة العفاف، وما يتضمنه من عرض فضائلها، وطعن الطاعنين وكذب الكاذبين، وما تضمنته حادثة الإفك، على فصول أربعة، وهي:

- بيدر الفضائل وسبع سنابل: وفيه عرض موجز عن فضائل أمنا الصديقة.
- جراب الكذب: وفيه يعرض الكاتب لأهم الشبهات وأكثرها شهرة، وليس لكل شبهة وطعن؛ فإن الكذب المروي في هذا الباب طويل وثقيل، فاقتصر الكاتب على أمهات الطعون، والتي تناسل عنها ما تناسل من ضلالات الكذب.

- محاق الإفك: وفيه عرض لجوانب أخرى من حادثة الإفك، وشيءٍ من فوائدها وحِكَمِها، بإيجاز قدر المستطاع.
- قطوف دانية: وفيه بيان العلاقة الودود بين أمنا الصديقة رضي الله عنها وآل بيت النبوة، نفيا لتلك الصورة الذهنية المعتمة عند الآخرين حول هذه العلاقة المشرقة.

وقد حرصت جهدي- وأنا المقصر- التزام المنهج العلمي السـلفي، وصياغته في قالب، رجوت أن يكون جامعا بين البيان والعلم، والحجة العقلية والنقلية معاً.

وأستغفر الله تبارك وتعالى من التقصير، لائذاً بفضله، معتصماً بجوده وإحسانه.

وصلى الله وسلم على أبي القاسم وعلى آله وأزواجه وصحابته أجمعين

كتبه سيد بن علي بن عبد المعين



الفصل الأول

بيدرُ الفضائلِ وسَبْعُ سنابلَ

الفصل الأول

بيدرُ الفضائِل وسَبْعُ سنابِلَ

سبقت أمنا عائشة رضي الله عنها إلى كثيرٍ من الفضائل التي جعلت منها وجوداً متوهجا بالفضل في هذا الوجود، وشملت فضائلها شخصَها الكريم، وأصلَها الشريف، وخُلقها القويم، وتاريخها المبارك، ومكانها من النبي صلى الله عليه وسلم، ومكانتها عند رب العالمين تبارك وتعالى، ومنزلتها السامية من بعدُ في قلب كلِّ مؤمنٍ زادَهُ شَرَفاً أن كانت الصِّدِّيقة عائشةُ أمَّه التي ينتسب إليها ورضي الله عنها.

السنبلة الأولى: في بيت الصِّدِّيق:

فقد بسط الإسلام هديه المنير في جنبات البيت الذي قدمت إليه الصديقة رضي الله عنها، فقد كان بيتا مُسلِماً كُلُّه، يغشاه النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم بكرة وعَشِيّاً، وتتهادى آيات الذكر الحكيم على لسان قيِّمه الذي يرعاه، وهو الصِّدِّيقُ أبو بكر رضي الله عنه، مصحوبا بقلب أسيف، وعين دامعة.

وتبين هذا أمنا عائشة رضي الله عنها فتقول: (لم أعقل أبويّ إلّا وهما يدينان الدّين، ولم يمرّ علينا يوم إلّا يأتينا فيه رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، طرفي النّهار: بكرةً وعشيّة ثمّ بدا لأبي بكرٍ، فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلّي فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكرٍ رجلاً بكّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن)[1] فنشأت أمنا عائشة رضي الله عنها

(١) ((صحيح البخاري في مواضع من صحيحه منها)) (١/١٠٢) (٤٧٦)، (٥/٥٨) (٣٩٠٥)، و((مسند الإمام أحمد)) (٤٢/٤١٩) (٢٥٦٢٦)، وغيرهما، واللفظ للبخاري.

موصولةً بالخير، فوالدها الصديق رضي الله عنه، وهو من هو فضلا وسبقا ومكانة سامقة لا تلحق، وأمها أم رومان رضي الله عنها، وأختها ذات النطاقين أسماء رضي الله عنها، وجدها أبو قحافة لم يفته الخير؛ إذ لحق بركب الهداية فأسلم عام الفتح[1]، فتمت النعمة وعمت بَركة الهداية بيت الصديق رضي الله عنه.

وفي هذا البيت الذي كان موئلا للإيمان، ربت أمنا الصديقة رضي الله عنها، تهتدي بنور الوحي، وتستقي من نبع الصديقية، فنشأت مبرأة من دنس الجاهلية، سامية نبيلة، تسمع الخير وتعيه، وتحرص عليه وتقصد إليه؛ لتهيأ لتلك المنزلة الباذخة في أن تكون زوجاً لأعظم الأنبياء والمرسلين.

فكان أن أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بصورتها في الرؤيا -ورؤيا الأنبياء حق- مرتين؛ فتحكي رضي الله عنها أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال لها: ((أريتك في المنام مرّتين، أرى أنّك في سرقةٍ من حريرٍ، ويقول: هذه امرأتك، فاكشف عنها، فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند اللّه يمضه))[2].

وهكذا كان زواجها من نبينا صلى الله عليه وسلم وحياً أوحاه الله رب العالمين إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فلم تكن أمنا زينب رضي الله عنها منفردة بتلك المنقبة عن أمنا الصديقة رضي الله عنها.

السنبلة الثانية: أَحَبُّ الناسِ:

وسارت أمنا رضي الله عنها على مدارج السمو صعوداً، فتزوجها النبي صلى الله

---

(١) ((صحيح مسلم)) (٣/١٦٦٣) (٢١٠٢)، و((سنن أبي داود)) (٤/٨٥) (٤٢٠٤)، و((سنن النسائي)) (٨/١٣٨) (٥٠٧٦)، و((المسند)) (٢٠/٨٢)، وغيرها من دواوين السنة.

(٢) في ((الصحيحين، واللفظ للبخاري)) (٥/٥٦) (٣٨٩٥) ، و((مسلم)) (٤/١٨٨٩) (٢٤٣٨).

عليه وســلم وهي ابنة ست سنين، ودخل بها وهي ابنة تِسعٍ، ولم يتزوج بكراً غيرها، ومــا زالت يوماً من بعد يوم تَسَــعُ الفضائل والمكانــة الرفيعة عند الله تبارك وتعالى، ورســوله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين، وصح لها ما لم يصح لغيرها، حتى صارت حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يكن بيانه عن حبه لها صلى الله عليه وســلم بياناً مما تُزجيه الألسنة، بل كان له ألقه الخاص، بالبيان قولا وفعلا وإشارة.

فهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه، يلقي السؤال بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم: من أحب الناس إليك؟

فيُكسى هذا العموم في كلمة (الناس)، كِسوة الخصوصية في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فيجيب: عائشة[1]. وكم في هذا التخصيص الذي يستل من فضاء هذا العموم الفسيح هذا الاسم، من دلالة على منزلة أمنا عند نبينا أبي القاسم صلى الله عليه وسلم!

وكم في مبادرته بالجواب قبل البحث عن المقصود بالناس هنا، من إشارة إلى حبه لها صلى الله عليه وسلم، وكأن لفظة الحب إذا انصرفت فإنما هي المقصودة رضي الله عنها!

فلمــا تقلص هذا العموم، وانطلــق إلى التخصيص، قال: فمن الرجال؟ فلم يغادر الجــواب البيــانَ الأولَ، فعبر عن الصديق رضي الله عنه، تعبــيرا يصله بأمنا الصديقة، فقال: أبوها، ولم يقل أبو بكر.. فكأن في أطواء شهادته بالحب لأبي بكر شهادةً أخرى

---

(١) ((صحيح البخاري)) في مواضع، منها: (٥/٥) (ح ٣٦٦٢)، (١٦٦/٥) (ح٤٣٥٨)، و((مسلم)) (١٨٥٦/٤) (ح ٢٣٨٤)، وغيرهما.

لأمنا بالحب، وكان في التعبير عن صديق الأمة بصفته أباً لعائشة، وليس باسمه، ما فيه من الروعة البيانية عن منزلة أمنا رضي الله عنها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء!

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلن هذا الحب الشديد لأمنا عائشة كما قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي رحمه الله: (وأحبّها حبّاً شديداً كان يتظاهر به)[١].

وقد كان هذا الحب يتمثل في حركة سلوكه كلها في كل ما يتعلق بأمنا الصديقة رضي الله عنها، فتكلمه أم سلمة رضي الله عنها في شأن الهدايا التي يختص بها الأصحاب يوم الصديقة، وتكثر، فيجيب: ((يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فوالله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة إلا هي.. فينتدب زوجاته رضي الله عنهن بضعته الطاهرة فاطمة، فيجيبها جواب المحب: أتحبينني؟ فأحبي هذه!))[٢].

السنبلة الثالثة: اللُّطْف:

ويدنيها منه صلى الله عليه وسلم، ويبسط عليها من حنانه ورحمته، ويترجم قوله إلى فعل شريف تأنس به أمنا رضي الله عنها، فيتتبع مواضع طعامها وشرابها ليشرب منها، ويُلطف لها الخطاب، ((فيقول: إنّي لأعلم إذا كنت عنّي راضيةً، وإذا كنت عليّ غضبى. قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أمّا إذا كنت عنّي راضيةً، فإنّك تقولين: لا وربّ محمّدٍ، وإذا كنت عليّ غضبى، قلت: لا وربّ إبراهيم. قالت: قلت: أجل واللّه يا رسول اللّه، ما أهجر إلّا اسمك))[٣].. فبادلته حبا بحب ولطفا بلطف صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٤٢).

(٢) ((مسلم)) (٤/ ١٨٩١) (٢٤٤٢)، و((النسائي)) (٧/٦٤) (٣٩٤٤).

(٣) ((صحيح البخاري)) (٧/٣٦) (٥٢٢٨)، و((مسلم)) (٤/١٨٩٠) (٢٤٣٩).

ويكون قافلا من غَزَاةٍ، وقد صحبته أمنا الصديقة رضي الله عنها فيأمر الجيش أن يتقدموا ليفسح للصديقة مجالا للمؤانسة واللطف، فيدعوها إلى مسابقته، فيسابقها فتسبقه، تنزلا منه وفضلا صلى الله عليه وسلم، وإيناسا لقلبها بالفرحة الطاهرة، والبسمة المضيئة تشرح صدرها، وتغمره بالسعادة، ثم تمر قوافل الأيام ويعيد النبي صلى الله عليه وسلم الكرَّة داعيا إياها للمسابقة، وقد بدنت رضي الله عنها، ونسيتْ ما كان، فتقول: فقال للنّاس: ((تقدّموا. فتقدّموا، ثمّ قال: تعالي حتّى أسابقك. فسابقته، فسبقني، فجعل يضحك، وهو يقول: هذه بتلك))![1]

ويوم أن همَّ بها والدها الصديق رضي الله عنه حين سماع ارتفاع صوتها وهي تتحدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتهما، ((فقال لها: يا بنت فلانةٍ، ترفعين صوتك على رسول الله -صلّى اللّه عليه وسلّم-؟ فحال النّبيّ -صلّى اللّه عليه وسلّم- بينه وبينها.

ثمّ خرج أبو بكرٍ، فجعل النّبيّ -صلّى اللّه عليه وسلّم- يترضّاها، وقال: ألم تريني حلت بين الرّجل وبينك؟.

ثمّ استأذن أبو بكرٍ مرّةً أخرى، فسمع تضاحكهما، فقال: أشركاني في سلمكما، كما أشركتماني في حربكما))[2].

فقد قطع عنها النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤذيها، ولو من والدها حميةً له، وجعل يترضاها تطييبا لخاطرها، وإسعاداً لنفسها، وفي هذا ما فيه من حبه لها رضي الله عنها.

---

(١) ((سنن أبي داود)) (٣/٢٩) (٢٥٧٨).

(٢) ((مسند أحمد)) (٣٠/ ٣٤٢) (١٨٣٩٥). و(صححه الشيخ شعيب في تحقيق المسند، وقوى إسناده في تعليقه على السِّير) (٢/١٧١).

ويأتي الحبشـــة إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فتحب الصديقة أن تنظر إلى لعبهم بالحراب، ولا يكون إطلالها على هذا المشـــهد الطريف، إلا وهي مســـندة رأســـها علـــى كتف النبي صلى الله عليه وســـلم، ما بين أذنـــه وعاتقه، وهي تطيل الوقوف، لا اســـتزادة من النظر، بل إظهارا لمكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم، فتقول أمنا: ((فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: حسبك، فقلت: يا رسول الله، لا تعجل، فقام لي، ثم قال: حسبك، فقلت: لا تعجل يا رسول الله. قالت: وما بي حب النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي، ومكاني منه))[1].

ففي هيئة الوقوف ما فيها من حنان النبي صلى الله عليه وســـلم، وحبه لها، وقد كان بوســـعه أن يجعلها تشاهد المشـــهد وحدها، بتهيئة مكان تطل منه على لعب الحبشة بالحِراب، وقد كان ممكنا أن يقف إلى جوارها، دون أن يجعل من كتفه الكريم موئلا لرأســـها تستند عليه وتطل على المشـــهد من خلاله، وقد كان ممكناً أيضاً أن لا يقـــف معها حتى تنتهي- وقد أطالت- بل كان مقبولا أن يقف قليلا ثم ينصرف لشأنه، وقد حُمِّل ما حُمِّلَ من أعباء الدعوة وأمر الأمة!

لكن هذا الإمكان كُلَّه منفِيٌّ في حق الصديقة، ففي إفســـاحه الوقت لها، شاهد حبٍّ لا يتلعثم، وفي إطالة الوقوف، شـــاهد آخر، وفي هيئة الوقوف، شاهِدٌ ثالث، وفي احتماله إطالة الوقوف شـــاهد رابع، وفي رعايته لحداثة ســـنها، وصبره الودود، ولطفه الحاني شاهدٌ وشـــاهدٌ، فهو موقف زاخر بشواهد الفضل التي لا تنتهي على عظيم مكانة أمنا الصديقة عند خير الخلق صلى الله عليه وسلم.

(١) ((سنن النسائي)) (٨/ ١٨١) (٨٩٠٢)، وأصل الحديث في الصحيحين.

وهذا كله مما كانت تختص به أمنا عائشة، ولم تكن زوجة من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم مشاركةً لها في هذا القَسْمِ الذي هو فضل رب العالمين يؤتيه من يشاء.

السنبلة الرابعة: في السماءِ والأرض:

وقد سرى ضياء هذا الحب النبوي لأمنا الصديقة رضي الله عنها في جنبات الكون، وجاوز الأفق، فنالت الثناء الحسن والذكر الجميل، وعوملت بالإجلال الذي يليق بمكانتها، فقد علم الصحابة رضوان الله عليهم ما لأمنا من مكان ومكانة، فخصوا يومها الذي هو قَسمها من النبي صلى الله عليه وسلم بهداياهم[1]، وفي هذا ما فيه من علمهم بأن نفس النبي صلى الله عليه وسلم تكون أطيب ما تكون – وهي النفس الطيبة المباركة – في يوم أمنا عائشة، وكأن هدايا الصحابة الكرام كانت إعلاناً بأن أمنا عائشة رضي الله عنها هدية من رب العالمين لنبيه صلى الله عليه وسلم، فكانت نعم الزوج لخير الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

وقد كان هذا الحب معروفا مستقرا في الأذهان والنفوس والضمائر، حتى بين جاراتها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقد كان يكون منهن ما يقع من المرأة غيرةً، ولكن في استقامة، ومجادلة ولكن في غير باطل، مع تسليم الكل بأن للصديقة ما ليس لغيرها من المكانة الرفيعة السامية، حتى إذا ما أرادت إحداهن أمرا، جعلت من أمنا عائشة شفيعا عند نبينا صلى الله عليه وسلم.

وهذه أمنا سودة رضي الله عنها، عندما حاك في صدرها هاجسٌ ما، وخشيت أن لا تقوم بحق النبي صلى الله عليه وسلم عليها في أمور البيت والزوجية، ولم يكن

(١) ((صحيح البخاري)) (٣/١٥٥) (٢٥٧٤)، و((مسلم)) (٤/١٨٩١) (٢٤٤١).

بها حاجة للرجال، تترك يومها الذي هو لها لأمنا الصديقة، ولم تذهب لزوجة أخرى من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم؛ لعلمها بالمحل الأسنى لأمنا الصديقة، والذي لا يشاركها فيه أحد[1].

وهذه أمنا أم سلمة رضي الله عنها يأتيها السائل مستفتياً عن جواز تقبيل الرجل لزوجه وهو صائم، فتدله على أمنا الصديقة؛ لعلمها بأن النبي خصها بما لم يخص به غيرها..[2]

وشواهد هذا الفضل الصِّدِّيقِيِّ بين أهل الأرض لا تنتهي، حتى صارتْ أُمُّنَا علماً على سمو القدر وشرف المنزلة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى كان مسروق رحمه الله إذا حدث عنها، يقول: حدثتني المبرأة المصدقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله[3].

وأبو حفص الفاروق عمر رضي الله عنه يفرض لأمهات المؤمنين جميعاً عشرة آلافٍ، عشرة آلافٍ، ويزيد أمنا الصديقة ألفين، وليس من سبب لذلك إلا أنها حبيبة رسول الله -صلّى اللّه عليه وسلّم-[4].

وهذه الرفعة المضيئة لم تكن إلا صدى لتلك المكانة السامية لأمنا الصديقة في السماء، فما تنزَّل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في لحاف امرأة غيرها

(١) ((البخاري)) (١٥٩/٣) (٢٥٩٣)، و((انظر سير أعلام النبلاء)) (٢/ ٢٦٦)، وكانت لا حاجة لها بالرجال.

(٢) في ((المسند)) (٢٩٨/٤٤) (٢٦٦٩١) بسند فيه ضعف، وله شواهد ، ((شرح معاني الآثار)) للطحاوي (٩٣/٢) (٣٣٩٥).

(٣) ((الزهد والرقائق)) لابن المبارك (٣٨٢/١) (١٠٧٩)، و((الشريعة)) للآجُرِّي (٢٤٠٤/٥) (١٨٨٦).

(٤) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/ ١٩٧).

رضي الله عنها[1]؛ لطهارة قلبها، وجلالة قدرها، ولقد خاض أهل الزيغ فيما خاضوا فيه- كما سنعرض مُفَصَّلاً فيما بعد إن شاء الله-فتنزلت الآيات الجليلة في تبرئة أمنا، رضي الله عنها، تتلى إلى يوم القيامة في المساجد والمحافل والمجامع وعلى المنابر، تملأ الكون والتاريخ، بالبيان الإلهي الجليل الذي يدفع قالة السوء، ويدحض أفيكة الطاعنين، ويعصف بالبهتان الذي تهاوت به النفوس التي امتلأت بالأحقاد والأحساد والضغينة المستكنة والمستعلنة على أمنا رضي الله عنها.

ويأتي جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقرئها السلام إكراما وتوقيرا للطيبة المطيبة رضي الله عنها[2].

وقد كانت عناية الله تحفُّ أمَّنا الصِّدِّيقةَ حتى في الشأن الذي لا يُؤْبَهُ له، فيوم ضاع عقدها وتوقف الجيش، بحثا عن هذا العقد، وطال بهم الوقت، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، والصديق يعتب عليها ويشتد في تأنيبها، فتنزل آيات التيمم، تيسيرا على المؤمنين، ورفعا للحرج، فينطلق أسيد بن حضير رضي الله عنه ناطقا عن قلوب المؤمنين الفرحة، مثنيا على آل بكر، وهي المقصودة بهذا الثناء، فيقول: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر[3].. وينقلب عتب الصديق إذ رأى التيسير الذي أنزله الله رخصة للمؤمنين، إلى ثناءٍ حنون، فيقول لابنته رضي الله عنهما: ما علمتُ.. إنك لمباركة![4]

(١) ((البخاري)) (٣/١٥٦) (٢٥٨١). ((الترمذي)) (٥/ ٧٠٣) (٣٨٧٩).

(٢) ((البخاري)) (٥/٢٩) (٣٧٦٨)، ((الترمذي)) (٥/٥٥) (٢٦٩٣).

(٣) ((صحيح البخاري)) (١/٧٤) (٣٣٤). و((مسلم)) (١/٢٧٩) (٣٦٧).

(٤) ((سنن ابن ماجه بإسناد صحيح)) (١/١٨٧) (٥٦٥)، وأصله في الصحيحين، كما تقدمت الإشارة إليه.

السنبلة الخامسة: نمطٌ آخر:

وهذه الخصال الشـريفة التي ذكرنا طرفا يسـيرا منها، وإلا فهي لا يسعها كتاب قائم برأسه، جعلت من أمنا الصديقة موئل سكينة، وظل راحة للنبي صلى الله عليه وسـلم.. يعاملها معاملة تشـبهها، سموا وعلو قدر، ويكفي أنها منه، فيحنو عليها، ويسلك معها نمطا فريدا في شأنها كله، فإذا اشتكت أضْعَفَ لها من اللطف، وصانها بحنانـه، حتى إنها لتقول في ذكر حادثة الإفك، لما مرضت: ((ويريبني في وجعي، أنّي لا أرى من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اللّطف الّذي كنت أرى منه حين أمرض، إنّما يدخل فيسلّم، ثمّ يقول: كيف تيكم))[1].

وكانت أمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على خير ما تكون الزوجة رعاية وحدبا وطاعة وحبا، حتى إذا طرق المرض جسد النبي صلى الله عليه وسلم، مؤذنا بارتحاله، التفـت إلى ذلك الظل الذي يأنـس به ويأوي إليه، وهو أمنا الصديقة فكان يقول: ((أين أنا اليوم، أين أنا غداً. اسـتبطاءً ليوم عائشـة، حتى إذا كان يومها سـكنت نفسه، وارتاح باله، واطمأن خاطره، وتخبر هي رضي الله عنها عن ذلك فتقول: فلمّا كان يومي سكن))![2]

وإذا كان من المقرر سـلفا أن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن على نسـق فريد من التقوى والزهادة ورفعة القدر وشـرف النفس، وحسن التبعل للنبي صلى الله عليه

(١) ((البخاري)) في مواضع من صحيحه (١٧٣/٣) (٢٦٦١)، (١١٦/٥) (٤١٤١)، (١٠١/٦) (٤٧٥٠)، ومختصرا في (١١٣/٩) (٧٣٦٩). و(مسلم) (٤/ ٢١٢٩) (٢٧٧٠). وفي (المسند) (٤٠٤/٤٢) (٢٥٦٢٣).

(٢) ((صحيح البخاري)) (٣٠/٥) (٣٧٧٤).

وسلم، ومع ذلك يتناثر السؤال يوما من بعد يوم: أين أنا اليوم، تشوقا من النبي صلى الله عليه وسلم ليوم أمنا عائشة، واستبطاء له، مما يدل على أنها كانت نمطا فريدا من النساء، وإن الجنة لدرجات ومنازل، وإن كانت كلها جنة!

وهذا السكون الذي كانت تبعثه أمنا الصديقة رضي الله عنها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يعاني ما يعاني -فداه أبي وأمي- من طوارق الألم وغواشي الوجع، يتجاوز الأفق في البيان عن حبه -وهو الطيب المطيب- لأمنا عائشة رضي الله عنها، فيقول لها في بيانٍ، هو نمطٌ فرد للتعبير عن مكانتها الجليلة: ((إنه ليهوّن عليّ الموت أن أريتك زوجتي في الجنة))[1].

فأي مكانة كانت لأمنا المباركة رضي الله عنها عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

ولم يزل بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم يطبب في بيت أمنا الصديقة حتى خرجت روحه الشريفة ولحق بالرفيق الأعلى، وقد استاك بذلك السواك الذي ألانته أمنا الصديقة له، وخالط ريقها ريقه، وتوفي بين سحرها ونحرها، ودفن في بيتها صلى الله عليه وسلم[2].

السنبلة السادسة: العليمة القانتة:

وسارت أمنا رضي الله عنها مسيرة الفضل في حياتها، وكانت على نبراس السمو

---

(١) ((زوائد الزهد)) لحسين المروزي (٢٠٧/٢)، وبمعناه في ((المسند)) (٥١٩/٤١) (٢٥٠٧٥). وقد حسَّنه الشيخ الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٨٦٧/٦) (٢٨٦٧).

(٢) ((البخاري)) (١٠٢/٢) (١٣٨٩)، ((مسلم)) (٤/ ١٨٩٣) (٢٤٤٣)، و((المسند)) (٢٦١/٤٠) (٢٤٢١٦).

لا تفارقه، تبث ما ورثته من علم وفقه إلى الأمة جميعا، فكانت أعلم نساء الأمة على الإطلاق كما نعتها بذلك الإمام الذهبي، وكان الكبار من الصحابة يستفتونها فيما أشكل عليهم من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روت عنه الكثير الطيب، فهي من المكثرات في الحديث[1].

وقد أجاب مسروق رحمه الله –وهو من تلاميذ أمنا– من سأله: هل كانت عائشة رضي الله عنها تحسن الفرائض؟ فقال: إي والذي نفسي بيده، لقد رأيت مشيخةً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض[2].

وهذا أبو موسى رضي الله عنه يقول: (ما أشكل علينا أصحاب محمّدٍ –صلّى اللّه عليه وسلّم– حديث قطّ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً)[3].

وهذا عروة بن الزبير رحمه الله يقول عنها: (لقد صحبت عائشة رحمها اللّه حتّى قلت قبل وفاتها بأربع سنين أو خمسٍ: لو توفّيت اليوم ما ندمت على شيءٍ فاتني منها، فما رأيت أحداً قطّ كان أعلم بآيةٍ أنزلت ولا بفريضةٍ ولا بسنّةٍ ولا أعلم بشعرٍ ولا أروى له, ولا بيومٍ من أيّام العرب ولا بنسبٍ ولا بكذا ولا بكذا ولا بقضاءٍ ولا بطبٍّ منها. فقلت لها: يا أمّه, الطّبّ من أين علمتيه؟. فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشّيء، ويمرض المريض فينعت له، فينتفع، فأسمع النّاس بعضهم لبعضٍ فأحفظه. قال عروة: فلقد ذهب عنّي عامّة علمها لم أسأل عنه)[4].

---

(١) روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، كما سيأتي لاحقا.

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٨٢).

(٣) ((الموطأ)) (٦/١٢٤) (٤٩٣). و((مصنف ابن أبي شيبة)) (٦/٢٣٩) (٣١٠٣٧).

(٤) ((الشريعة)) للآجري (٥/٢٤١١) (١٨٩٨)، و((سير أعلام النبلاء)) (٢/ ١٨٣).

ويقول الزهري رحمه الله: لو جُمِعَ علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل[1].

(وعن الشّــعبيّ: أنّ عائشة قالت: رويت للبيدٍ نحواً من ألف بيتٍ، وكان الشّعبيّ يذكرها، فيتعجّب من فقهها وعلمها، ثمّ يقول: ما ظنّكم بأدب النّبوة؟!)[2].

وكان لها مناقشات واستدراكات على بعض الصحابة الكبار فيما ذهبوا إليه من مســائل في العقيدة والفقه وغير ذلك، وقد أفرد الإمام بدر الدين الزركشي رحمه الله كتابا قائما برأسه في هذا الأمر، أسماه (الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة).

وهذا الميراث العليم كان مصحوبا بالسمت الصالح والخلق القويم، والنسك المترفع عن ألواث الدنيا وغبار المادة، فكانت أمنا تســرد الصوم وتصوم الدهر[3]، وتأتيها الأعطيات فلا تلتفت لشيء من هذا، وإنما تنفقه في سبيل الله، ولا تتكئ على دنيا تطمئن إليها، وإنما كانت نافضة يدها من هذا كله، على سنن أبي القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقــد كان هذا خلقها منذ البدء، فيوم نزلت آية التخيير، بدأ بها النبي صلى الله عليه وسلم فخيرها بين متاع الدنيا، وما تتوهج به زينتها من مباهج وأضواء فانية تختل النفوس وتســتل القلوب من صدورها، وبين الله ورسوله والدار الآخرة، ومهد أمامها العذر لتخرج ما في نفســها إن كان بها ميل إلى الدنيا، وحاشاها، فَقَالَ: وَلَا عَلَيْك أَن لَا تعجلِي حَتَّى تَسْــتَأْمِرِي أَبَوَيْك[4].. فردَّت بصِدقها الفريد هذا الحشدَ المتدافع

(١) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٨٥).

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٩٧).

(٣) ((طبقات ابن سعد)) (٨/٦٨)، وانظر: ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٨٧).

(٤) ((البخاري)) في مواضع منها (٣/١٣٣) (٢٤٦٨). و((مسلم)) (٢/ ١١١٣).

من الدنيا، واعتصمت بزهدها المرتحل إلى الآخرة، وتساءلت في تسامٍ فريد، قائلةً: (أفي هذا أستأمر أبوي؟! فإنّي أريد الله ورسوله والدّار الآخرة فاستن بها بقيّة أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت)[1].

فكان في جوابها تمام الصِّدِّيقِيَّةِ، وكمالُ السمو؛ حيث قدَّمَتْ بين يدي إجابتها باستفهام يستنكر أن يطرق هذا الخاطر بابَ قلبها قط، فكان في إنكارها وحده كفايةٌ وجواب، وكان في تقريرها بعد السؤال ما فيه من زهادة القلب ورشاد العقل وجميل الخطاب!

ولا زالت على هذا الدرب سائرة، فريدة الإحسان، صادقة الزهد، متخلية عن الدنيا، فيأتيها من المال سبعون ألفاً، فتجود بها كلها صدقةً، وهي تُرَقِّع جانب دِرْعها، رضي الله عنها.

(ويرسل إليها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بمالٍ في غرارتين، يكون مائة ألفٍ، فدعت بطبقٍ، فجعلت تقسم في النّاس. فلمّا أمست، قالت: هاتي يا جارية فطوري. فقالت أمّ ذرّة: يا أمّ المؤمنين، أما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهمٍ؟قالت: لا تعنّفيني، لو أذكرتيني لفعلت)[2].

وهذا النسيان ليس من بابة النسيان الذي ينقص به الإنسان إن نُعِتَ به، بل هو نسيان جليل لا تطيقه إلا النفوس الشريفة الكبيرة، التي لا تلتفت إلى الدنيا إلا إن تابعها غيرها، وألحَّ عليها في ذلك، فما هي من الدنيا، ولا الدنيا مما تريد!

---

(١) ((البخاري)) في مواضع منها (٣/١٣٣) (٢٤٦٨). و((مسلم)) (٢/ ١١١٣).

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٨٧).

وكانت مع هذا الزهد، رقيقة القلب، خاشعة قانتة، لا ترى لنفسها فضلا، ولا تتكئ على قربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عُلم عنها هذا السمت الخاشع، كأبيها رضي الله عنهما، وتوافرت الآثار الدالة على ذلك الخشوع القانت، حالا ومقالاً، فتقول أمنا في خشعة منيبة: (قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقةً من هذه الشّجرة!)[1].

وتقف في مصلاها يوما تردد قوله تبارك وتعالى ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧].. وتبكي وتطيل ويمتد بها القيام، وتدعو: ربِّ من عليَّ وقني عذابَ السَّمُوم[2].

يقول القاسم بن محمد: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها. فغدوت يوماً فإذا هي قائمةٌ تسبح وتقرأ: قوله تعالى ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ وتدعو وتبكي وترددها. فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي[3].

وكانت كلما ذكرت خروجها للسعي بالإصلاح بين الناس يوم الجمل متأولة –كما سيأتي إن شاء الله– تأسف محزونةً، وتتكلم بالندم استغفارا ودمعا، حتى تبل خمارها رضي الله عنها.

وهذا البكاء المتصل برقة القلب كان خلقا لها رضي الله عنها، تتكلم به حرفا ذائبا من الصدق، وخشوعا يُطِلُّ من شُرُفات العين نابعاً من القلب.

(١) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٨٩).

(٢) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (١/٣١٩).

(٣) ((المصدر السابق)).

فهذا ابن أختها عبد الله بن الزبير، بلغه بيعها دارا لها، فتسخَّط ذلك، وغَضِب منهَ وقال كلمة الغضب: (أما –والله– لتنتهينّ عائشة عن بيع رباعها، أو لأحجرنّ عليها.

فبلغ ذلك أمنا الصديقة، فقالت متسائلةً: أو قال ذلك؟

قالوا: قد كان ذلك.

قالت: لله عليّ ألا أكلّمه، حتّى يفرّق بيني وبينه الموت.

فطالت هجرتها إيّاه، فنقصه الله بذلك في أمره كلّه، فاستشفع بكلّ أحدٍ يرى أنّه يثقل عليها، فأبت أن تكلّمه. فلمّا طال ذلك، كلّم المسور بن مخرمة، وعبد الرّحمن بن الأسود بن عبد يغوث أن يشملاه بأرديتهما، ثمّ يستأذنا، فإذا أذنت لهما، قالا: كلّنا؟

حتّى يدخلاه على عائشة، ففعلا ذلك. فقالت: نعم، كلّكم فليدخل، ولا تشعر.

فدخل معهما ابن الزّبير، فكشف السّتر، فاعتنقها، وبكى، وبكت عائشة بكاءً كثيراً، وناشدها ابن الزّبير الله والرّحم، ونشدها مسور وعبد الرّحمن بالله والرّحم، وذكرا لها قول رسول الله –صلّى اللّه عليه وسلّم–: لا يحلّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ.

فلمّا أكثروا عليها، كلّمته، بعد ما خشي ألاّ تكلّمه، ثمّ بعثت إلى اليمن بمالٍ، فابتيع لها أربعون رقبةً، فأعتقتها. قال عوف: ثمّ سمعتها بعد تذكر نذرها ذلك، فتبكي، حتّى تبلّ خمارها..رضي الله عنها)[1].

ولا زالت على هذا المنهاج القويم، والخلق الكريم، والصراط المستقيم، حتى لحقت بربها رضي الله تعالى عنها.

(١) ((البخاري)) (٨/٢٠) (٦٠٧٣).

السنبلة السابعة: ميثاق الختم الشريف:

ويطـــل رمضـــان على الوجود، ويحضر المـــوتُ أمَّنَا الصِّدِّيقةَ ولهـــا من العمر ثلاث وستون سنة وبضعة أشهر، كحال نبينا صلى الله عليه وسلم، ويقعدها المرض، وتعلم أنه الرحيل، فتقول في تواضع الخاشــعين- وكانت تحدّث نفسها أن تدفن في بيتها -: (إنّي أحدثت بعد رســول الله -صلّى اللّه عليه وسلّم- حدثاً، ادفنوني مع أزواجه)[1]. وتعني بذلك أمر الجمل وتأوُّلَها رضي الله عنها للأمر، كما سيرد معنا فيما بعد إن شاء الله.

ويشــتد الوجع وترقد رقدة الموت، فيستأذن عليها ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما، فيقيدها الورع عن الإذن بدءا، وتتردد في إدخاله، خشية أن يثني عليها، وهي التي لا ترى نفسها- مع جليل قدرها وعظيم مكانتها- شيئاً، فقالت لذكوان: (دعني من ابن عبّاسٍ، لا حاجة لي به، ولا بتزكيته.

فقال عبد الله: يا أمّه! إنّ ابن عبّاسٍ من صالحي بنيك يودّعك، ويسلّم عليك.

قالت: فائذن له إن شئت.

قال: فجاء ابن عبّاسٍ، فلمّا قعد، قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تفارقي كلّ نصبٍ وتلقي محمّداً -صلّى اللّه عليه وسلّم- والأحبّة إلاّ أن تفارق روحك جسدك.

قالت: إيهاً يا ابن عبّاسٍ.

قال: كنت أحبّ نســاء رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم -يعني: إليه- ولم يكن يحبّ إلاّ طيّباً، ســقطت قلادتك ليلة الأبواء، وأصبح رســول الله -صلّى اللّه عليه

(١) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٩٣).

وسلّم- ليلقطها، فأصبح النّاس ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمّة من الرّخصة، ثمّ أنزل الله -تعالى- براءتك من فوق سبع سماواتٍ، فأصبح ليس مسجد من مساجد يذكر فيها الله إلاّ براءتك تتلى فيه آناء اللّيل والنّهار.

قالت: دعني عنك يا ابن عبّاسٍ، فوالله لوددت أنّي كنت نسياً منسيّاً)[1].

وهـذا البيان المضيء الذي شـهد به ابن عباس رضـي الله عنهما، وهو من آل البيـت، ومن أعلم الصحابـة، كان بمثابة الميثاق الخاتم لهـذه الحياة الحافلة، والذي نطق به ابن عباس رضي الله عنه، بلسـان كل مؤمن في هذه الأمة المباركة، من لدن الصحب الكرام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ولذا تفجعت القلوب المؤمنة بارتحال الصديقة، وتداعت القلوب تحمل أصحابها لحضور جنازتها، والألم يلفها، بالحزن والدمع الأسـيف على حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهم الحصان الرزان المباركة، رضي الله عنها.

وفي ليلة السـابع عشر من رمضان سنة سبع وخمسـين تحتشد الجموع من أهل المدينة بعد صلاة الوتر، في شـهادة عملية أخرى، زرافات ووحدانا، يحملون الجريد والخرق المشتعلة تضيء الطريق كأن الليلة عيدٌ، ليشهدوا الصلاة على أمنا الصديقة، وليدفنوها في البقيع، والأسف الدامع يعصف بهم عصفا، وإنها لأمهم، وصدق عبد الله بن عبيد بن عُمَيْر: (أما إنّه لا يحزن عليها إلاّ من كانت أمّه!)[2].

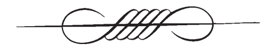
---

(١) ((مسند أحمد)) (٤/ ٢٩٨) بسند صحيح.

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٨٥).

وهذه أم ســـلمة رضي الله عنها تقول لما سمعت الصّرخة على عائشة: (والله لقد كانت أحبّ النّاس إلى رسول الله -صلّى اللّه عليه وسلّم- إلا أباها!)[1].

فارتحلتْ مصحوبةً بالثنـــاء والحب والدعوات الدامعة، والقلوب الضارعة، رضي الله عنها وأرضاها.



(١) رواه الحاكم وصححه (٤/١٥) (٦٧٤٦)، وتعقبه الذهبي قائلا: فيه زمعة بن صالح وما روى له إلا مسلم مقرونا بآخر معه، وانظر: ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٩١).



الفصل الثاني

جراب الكذب

الفصل الثاني

جراب الكذب

وهذا فصل أخلصته للرد على ما يتردد من أكاذيب وافتراءات عن أمنا الصديقة رضـــي الله عنهـــا، من أولئك الذيـــن آذاهم التعصب، وأعماهـــم الجهل الكاذب، فاستطالوا بألسنة الجرأة على أمنا الصديقة رضي الله عنها، واستحلوا الكذب، وبثوه في الكتـــب، وأثقلوا به الدواوين، بالدس والختـــل والمكر الكاذب والروايات الباطلة، والتأويلات السوداء التي نبعت من قلوب تشبهها سوادا وعتمة وحقدا!

والناظر متأملاً في جراب الكذب، لن يخطئه الاهتداء إلى أن للقوم أركانا وأسسا أقاموا عليها باطلهم، وهي:

- الكذب المصنوع الذي يختلق الإفك ويروج له.
- التأويل الفاسد النابع من فسق التصور.
- غلبة الهوى في انتزاع النص من سياقه، وعرضه مشوها مبتورا.

ولا بد من صرف الأذهان إلى حقيقة لائحة في عقيدة القوم، وهي أنهم يصبغون الضغن المســتكن في أطواء الضمائر على الإســلام وأهله- لاسيما النفر المبارك من صحب النبي صلى الله عليه وسلم- صبغة الدين، ويغزلون من أجل الفتك بهذا الجيل في عقول المسلمين، ترهات الأباطيل، وينبذون هذه الترهات والأكاذيب على ألسنة الأئمة من أهل البيت، لبث الشــقاق والفرقة في صفوف المســلمين، وهدم الانتماء لهذا الجيل الفريد من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد حظِيَتْ أمنا رضي الله عنها بنصيب وافر من هذا القيظ الحاقد؛ لأن الطعن فيها مفضٍ للطعن في القرآن، وفي النبي صلى الله عليه وسلم، تكذيباً للأول، وتنقصا من الثاني صلى الله عليه وسلم؛ لأنها كانت منه بالمحل الأعلى والمقام الفريد، فكان الطعن فيها طعنا فيه هو.

وهكذا عادة أهل الضغن، يبتدئ الكذب من صدورهم خافت الخبث، حتى يتمطى من بعد ليصير عقيدة ينشأ عليها القوم، ويرتضعونها في حسينياتهم، من أفواه المعممين، ومن بطون المجلدات المكذوبة، دينا يعتقد، وعقيدة تعتنق!

وصدق أبو عبد الله الشافعي رحمه الله تعالى، إذ قال: لم أر أحداً من أصحاب الأهواء، أشهد بالزور من الرافضة![1] وقد تتابعت الافتراءات في كتب القوم تصدق هذا القول من أبي عبد الله رحمه الله ورضي عنه.

وهذا أوان الكشف عن جراب الكذب؛ لقذفه بعيدا حيث مكانه الذي منه أتى، وإليه يصير!

الصِّلُّ الأول[2] : اتهام الصديقة بقتل النبي صلى الله عليه وسلم!

أفِكَ أهل الباطل، ورموا أم المؤمنين الصديقة رضي الله عنها، بمشاركة أمنا الصوامة القوامة حفصة رضي الله عنها، بقتل النبي صلى الله عليه وسلم!

---

(١) ((آداب الشافعي ومناقبه)) لابن أبي حاتم (ص: ١٤٤).

(٢) الصِّلُّ: الحَيَّةُ الَّتِي تقْتُل إِذا نَهَشتْ مِنْ سَاعَتِهَا، ((لسان العرب)) (١١/١٨٥)، وقد عنونت لكل فرية وطعن بهذا للدلالة على أن هذه الطعون ما خرجت إلا من حيايا الضلال.

نقل ذلك من القوم: العياشـــي في تفســيره[1]، والفيض الكاشاني[2]، والمجلسي، وصحح الرواية، قائلا: (إن العياشـــي روى بســند معتبر عن الصادق[3] أن عائشة وحفصة –ولعَنَ، لعنه الله– قتلتا رسول الله بالسم دبرتاه)![4]

وقد اســتند المفترون على الحديث الذي في الصحيح من حديث أمنا الصديقة رضي الله عنها تقول: ((لَدَدْنا[5] رســول الله – صلَّى الله عليه وســلَّم – في مَرضه، وجعَلَ يُشير إلينا: لا تَلُدُّوني، قالت: فقلْنا: كراهية المريض بالدواء، فلمَّا أفاقَ، قال: ألَمْ أنْهَكم أن تَلُدُّوني، قُلنا: كراهيةً للدواء، فقال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: لا يَبقى منكم أحدٌ إلاَّ لُدَّ وأنا أنظر إلاَّ العبَّاس؛ فإنَّه لم يشهدْكم))[6].

واختلقوا من بعد رواياتٍ أخرى فيما يتعلق بالســم، تأتي معنا في سياقة دحض هذه الشبهات المفتراة.

وصدق الله تعالى ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وإن الفرية إذا جاءت من ذوي الضغــن كانت عارية من العقــل، فارغة من الحق، وما هي إلا الإفك الموهوم، يدل على قلب وعقل صاحبه!

أولاً: نحن لم نجد قط قاتلا يروي قصة قتله، ويدلي باعترافه أمام العالمين، ويتناقله

---

(١) (٢٠٠/١).

(٢) ((تفسير الصافي)) (٣٠٥/١).

(٣) ((الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ورحمه)).

(٤) ((بحار الأنوار)) (٥٠٤/٦، ٦/٨)، و((الأنوار النعمانية)) لنعمة الله الجزائري (٣٣٦/٤-٣٣٧).

(٥) اللدود: هُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي يُصَبُّ فِي أَحَدِ جَانِبَيْ فَمِ الْمَرِيضِ وَاللُّدُودُ بِالضَّمِّ الْفِعْلُ وَلَدَدتَ الْمَرِيضَ فَعَلْتَ ذَلِك بِهِ. انظر ((الفتح)) (١٦٦/١٠).

(٦) ((البخاري)) (١٤/٦) (٤٤٥٨).

العلماء في دواوين السنة الصحيحة، جيلا من بعد جيل في سياقة الحديث عن مرض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتمر الأمة به علماءَ وطلابَ علم، لا يجدون في روايته بأسا، ولا في شرحه حرجا!

وثانياً: ما علمنا عن أحد يفعل جريمته بمحضر من الناس لا يستخفي، ويسقي النبي صلى الله عليه وسلم السم الذي زعموه أمام أعينهم، وفيهم عمه العباس رضي الله عنه!!

وثالثاً: قد علمنا أن أمهات المؤمنين شربن من عين هذا الدواء الذي سقين منه النبي صلى الله عليه وسلم، فلم صح أثر السم المزعوم في جسد النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع عن النفاذ في أجساد من تعاطوا نفس الدواء؟

رابعاً: من ذا الذي أخبر أصحاب الفِرَى بمكونات هذا الدواء، وأراهم أم المؤمنين وهي تضع السم فيه؟!

خامساً: من الذي صرف الصديقة رضي الله عنها، عن قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلها تنتظر كل هذه السنين المتطاولة حتى يمرض فتسمه؟!

سادساً: ما الذي أحوج أم المؤمنين إلى هذا القتل العلني -افتراءً-، وأجاءها إلى هذا المضيق العسر، الذي يسهل كشفه وفضح أمره؟! ألم يكن ممكنا قتله بالخنق، أو بإلقاء الثقيل من الأحجار عليه وهو نائم لا يراها ولا يراه أحد؟! وقد كان ممكناً أن تدعي- وحاشاها- تسلل يهودي لقتله، وقد كان يكون أليق وأشد دسا وأعمق مكرا، لاسيما ولليهود سوابق وبوائق!

سابعاً: لقد تحدثت ذراع الشاة التي دست فيها اليهودية السم، إلى النبي صلى الله

عليه وسلم، وأخبر قائلا: إن الشاة تحدثني أنها مسمومة، وتركها منحيا إياها منصرفا عن الطعام[1]، فكيف يستقيم إثبات الوحي في حادثة، ونفيه في حادثة أخرى مع التماثل فيما بين الحادثتين؟!

ثامناً: هل كان العباس رضي الله عنه عالماً بمكونات هذا الدواء المسموم، أم لم يك عالماً؟! فإن أثبتم له العلم بوضع السم، فقد جئتم شيئا إدّاً؛ إذ لا يُعقل أن يعلم فيكتم، أو يجلس فلا يتكلم، ولا يغضب فيُعْمِل سيف القصاص في رقاب من قاموا بالجريمة الموهومة، إن لم يكن شرعاً فحَمِيَّةً لابن أخيه عليه صلوات الله وسلامه!

أم أن الرافضة ينزعون عن العباس عربيته؛ إذ توهموا نزع دينه، كما زعم الخوئي قائلا: وروى الكشي في ترجمة عبد الله بن العباس بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤][2] في العباس بن عبد المطلب!

وإن قلتم لم يكن يعلم، ولم يخبره النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يوحَ إلى النبي في هذا الشأن شيء، فقد قلتم ما لا قبل لراشد بقبوله! إذ تزعمون لأنفسكم عِلمَ ما خفي على العباس -وقد شهد الواقعة- وما سكت عنه الوحي، وما لم يخبر به النبي! وهذا بهتانٌ آثم يهدم العقلَ والإيمانَ معاً!

(١) ((صحيح البخاري)) (٣/١٦٣) (٢٦١٧)، ((صحيح مسلم)) (٤/١٧٢١) (٢١٩٠)، و((سنن أبي داود)) (٤/١٧٤) (٤٥١٢).

(٢) انظر: ((معجم رجال الحديث)) للكشي (١١) (الترجمة ٦٩٥٤) ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وكل الــذي كان من أمنا الصديقة وزوجات نبينا صلى الله عليه وســلم، أنهن توهمــن مرضه بذات الجنب، فداووه بهذا الدواء، حرصــا عليه وحفظا لصحته عليه صلوات الله وسلامه، ولما أشار عليهن بالمنع، أصبن الأجر الواحد، معتقداتٍ أن هذا مــن رفض المريض التداوي، وَفق مــا اعتاده الناس من كراهة المريض للدواء، فداوينه بهذا الدواء، فأدبهن النبي صلى الله عليه وســلم بأن ألزم كل من شــهد ذلك بتناول هذا الدواء، وحسب!

عن أسماء بنت عميسٍ، قالت: ((أوّل ما اشــتكى رســول الله صلّى الله عليه وسلّم في بيت ميمونة فاشتدّ مرضه حتّى أغمي عليه فتشاور نساؤه في لدّه فلدّوه فلمّا أفاق قال ما هذا فقلنا هذا فعل نساءٍ جئن من هاهنا وأشار إلى أرض الحبشة وكانت أسماء بنت عميسٍ فيهنّ قالوا: كنّا نتّهم فيك ذات الجنب يا رسول الله، قال: ((إنّ ذلــك لداء ما كان الله عــزّ وجلّ ليقرفني به لا يبقينّ في هذا البيت أحد إلّا التدّ إلّا عمّ رســول الله صلّى الله عليه وسلّم، يعني العبّاس، قال: فلقد التدّت ميمونة يومئذٍ وإنّها لصائمة لعزمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم))[1].

فماذا في هذا الذي كان؟ لا شــيء! ولكن أيــن العقول التي تعي الكلام قبل النطق به؟!

وممــا يعجب له المرء أن الرافضة تنأى عن حديث أثر ســم اليهودية في خيبر،

---

(١) رواه أحمد في ((مسنده)) (٤٦٠/٤٥) (٢٧٤٦٩) بسند صححه الحافظ في ((الفتح)) (١٤٨/٨)، وقال الشيخ الألباني هو على شرط الشيخين انظر ((الصحيحة)) (١٠١٧/٧). وذات الجنب، مرض قيل إنه السل، وقيل قرحة في البطن..تكلم عنه الحافظ في ((الفتح)) في الموضع المشار إليه آنفا، وفصل فيه الإمام ابن قيم الجوزية في ((زاد المعاد)) (٧٤/٤)، وما بعدها.

وتألم النبي صلى الله عليه وسلم من آثاره في مرض موته؛ حيث قال لأمنا الصديقة رضي الله عنها: ((يا عائشة ما أزال أجد ألم الطّعام الّذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السّمّ))[1]، ثم هم يفترون تلك الفرى على أم المؤمنين، فجمعوا الشرين، بموالاة أعداء الله وتبرئتهم من جريمتهم، والقدح في خاصة أولياء الله، برميهم بما هم برآء منه!

الصِّلّ الثاني: قَرْن الشيطان!

ومن الكِذاب الذي أحدثته الشيعة، بتحريف الكلم عن مواضعه، وصرف النصوص عن معانيها، ما زعموه في حق أمنا رضي الله عنها، بأنها المقصودة بقوله صلى الله عليه وسلم -وقد أشار نحو المشرق- ((ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال: قرن الشمس))[2].

فحرف الشيعة الإشارة، وقالوا: كان يشير إلى بيت عائشة، وبوبوا على ذلك بقولهم: (باب في إخبار النبي أن الفتنة ورأس الكفر من بيت عائشة)[3].

وهذا من الطعن الكُبَّار في أمنا الصديقة رضي الله عنها، بل وفي النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يستقيم لامرئ دين، ولا يصح له عقل، إذا ظن أن البيت الذي آوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات فيه ودفن فيه، يكون موئلا لرأس الفتنة، وينعت بـ قرن الشيطان!

---

(١) ((البخاري)) (٦/٩) (٤٤٢٨)، والأبهر: عِرْقٌ إذا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُه، انظر: ((لسان العرب)) (٤/٨٣).

(٢) ((البخاري)) (٤/٨٢) (٣١٠٤)، و((مسلم)) (٤/٢٢٢٨) (٢٩٠٥).

(٣) ((المراجعات)) للموسوي (٢٦٨)، و((الكشكول)) لحيدر الآملي (١٧٧- ١٧٨)، و((الصراط المستقيم)) للبياضي (٣/ ١٤٢، ١٦٤).

ولا يقول بهذا قلب فيه توقير لله، وتعظيم لرســول الله صلى الله عليه وســلم، وقد أكل الحقد أكباد القوم حتى اختل في أيديهم ميزان الكذب، فأرادوا النيل من أمنا الصديقة وأبيها رضي الله عنهما، فآل الطعن إلى الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، فالبيت سكنه، وفيه سكونه، وبين جدرانه تنزَّل عليه الوحي من رب العالمين، ويروح عليه فيه جبريل ويغدو، وإليه تهرول هدايا الصحب الكرام من جنبات المدينة حبا وتوددا للنبي صلى الله عليه وســلم، وبه قيامه وسجوده، وفيه دُفِن، ومِنه يُبْعَثُ صلى الله عليه وســلم، أيكون هذا البيت الشريف، والمكان الطاهر مباءة للشيطان وموئلا للفتنة؟!

نعــوذ بالله من الإفك وأهله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقد أبانت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المقصود بقرن الشيطان، ووردت الآثار المفســرة عن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان لمعنى المشرق، وكشفوا اللثام عن ماهية (هنا) في هذا الحديث الشريف.

فعــن ابــن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي صلى الله عليه وســلم فقال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان)[١].

وفي لفظ عند مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: يا

(١) ((البخاري)) (٢/٣٣) (١٠٣٧).

أهل العراق! ما أسألَكم عن الصغيرة وأركَبَكُم للكبيرة! سمعتُ أبي عبدَ الله بن عمر يقول: سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يقول: (إن الفتنة تجيء من هاهنا –وأومأ بيده نحو المشرق– من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ)..[١]

وعن أبي مسعودٍ، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: ((الإيمان ها هنا –وأشار بيده إلى اليمـن– والجفاء وغلظ القلوب في الفدّادين عند أصول أذناب الإبل، من حيث يطلع قرنا الشّيطان ربيعة، ومضر))[٢].

وهذا بيان لا يلتبس، أن الصديقة المطيبة ليست مقصودةً بشيء من هذا البيان النبوي قط.

يقول حَذَامِ المحدثين الحافظ ابن حجر رحمه الله: (كان أهل المشرق يومئذ أهلَ كُفرٍ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر. وأول الفتن كان من قِبَل المشـرق، فكان ذلك سـببا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأتْ من تلك الجهة.

وقال الخطابي: نَجْد من جهة المشرق، ومَن كان بالمدينة كان نجده باديةَ العراق ونواحيَها، وهي مشرق أهل المدينة.

وأصـل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغَوْر؛ فإنه ما انخفض منها، وتِهامَةُ كلها من الغَوْرِ، ومكة من تهامة انتهى)[٣].

(١) ((مسلم)) (٤/ ٢٢٢٩) (٢٩٠٥).

(٢) ((البخاري)) (١٧٣/٥) (٤٣٨٧).

(٣) ((فتح الباري)) (١٣/ ٤٧).

وقال أيضا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: رأس الكفر نحو المشرق: (وفي ذلك إشـــارة إلى شدّة كفر المجوس لأنّ مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنّسبة إلى المدينة وكانوا في غاية القسوة والتّكبّر والتّجبّر حتّى مزّق ملكهم كتاب النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم)[1].

فكل ما كان عن يمين منبر النبي بما في ذلك بيت أمنا عائشة، وبضعته الطاهرة فاطمــة، كان إلى جهة المشــرق؛ لأنه كان في جهة الغرب مـــن تلك البيوت، فهل يعتقـــد أصحاب الفرية دخول بيت فاطمة رضي الله عنها في الحديث؛ لوقوعه غرب منبر النبي صلى الله عليه وســـلم؟ فإن أبوا هذا بحـــق، فليُخرجوا بيت أمنا الصديقة التي افتروا عليها بالباطل من هذا، هكذا يقضي الإنصاف العليم، قبل أن يقضي به الإيمان القويم.

الصِّلُّ الثالث: منع الصديقة دَفْنَ الحسنِ في بيتها:

وهذا من المطاعن الدالة على تناقض المفترين، وأنه ما من فرية إلا وتحمل بطلانها في أطوائها، سنةً لا تتخلف في كل مفترٍ، وما احتج مُبْطِلٌ بدليل إلا وكان دليلاً عليه.

فالروافـــض لا يفتئون في رمي أم المؤمنين بكل بهت مبين، فقد كانت رضي الله عنها محبة لآل البيت مقدرة لهم، تعظيما لقدر النبي صلى الله عليه وســـلم، وحفظا لوصاته في آل بيته- كما مر معنا- وما كانت لتأبى-حاشـــاها- أن يدفن الســـيد الكبير، وريحانة البشـــير النذير؛ الحسن بن علي رضي الله عنهما، مع جده صلى الله عليه وسلم..

---

(١) ((فتح الباري)) (٣٥٢/٦).

وقد كانت تتلمس كل ما يرضي النبي صلى الله عليه وسلم؛ لتأتي به، مستقيمة على ما يحب، مطيعة لما أمر، ولو بنظرة العين المجردة[1]!

أفتكون الحبيبة المباركة التي كانت تطالع وجه النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإقدام على الأمر، فإذا آنست منه الرضا أقدمت، وإلا كفت وامتنعت- أفتكون تلك المباركة عاصية لوصاة النبي في آل بيته، مانعة سبطه الحسن من مجاورة جده؟! ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

بل الثابت اللائق بقدرها الجليل أنها أذنت، ورحبت بذلك رضي الله عنها وقالت لأبي عبد الله الحسين رضي الله عنه، لما استأذنها في دفنه في الحجرة: نعم، وكرامة عين! (روى ذلك ابنُ عبدالبر من طُرق مُتعددة)؛[2] وإنما منعه مروان بن الحكم، عندما أزَّته عصبيته الغاضبة لأبي عبد الله عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمنع الناس من دفن الحسن رضي الله عنه، معللا هذه الفعلة الآثمة قائلا لمن أبلغه: فبلغ ذلك مروان، فقال: كذب وكذبت، والله لا يدفن هناك أبداً؛ منعوا عثمان من دفنه في المقبرة، ويريدون دفن حسنٍ في بيت عائشة[3])!.

وقد فات الرافضة أنهم بهذه الفرية يثبتون الفضيلة لبيت أمنا الصديقة رضي الله عنها، لعدهم ذلك المنع الموهوم، مَثْلَبَةً في حق أمنا عائشة؛ فلو لم يكن للدفن في ذلك المكان فضيلة، لما كان للاعتراض محل هنا!

---

(١) انظر: ((سنن النسائي)) فيما كان بينها وبين أمنا زينب رضي الله عنهما، وفيه تقول أمنا الصديقة رضي الله عنها: (وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرقب طرفه، هل أذن لي فيها) (٦٤/٧) (ح ٣٩٤٤).

(٢) انظر: ((الاستيعاب))، (١/ ٣٧٦ -٣٧٨)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٣/ ٢٧٥ – ٢٧٩).

(٣) انظر: ((الاستيعاب)) (١/ ٣٩٢).

وإذا استقام هذا في الذهن السوي -وهو كذلك- فكيف تجمعون بين هذا الكذب، وبين الزعم بأن بيت عائشة المقصود بقرن الشيطان؟! ألا ساء ما يزعمون!

الصِّلُّ الرابع: خروجها يوم الجمل وقتال علي:

وهذه الفرية التي زعم الرافضة ومن تبعهم بالإساءة، أن أمنا الصديقة رضي الله عنها خرجت متهيأة لقتال أبي تراب علي رضي الله عنه، وأعدت لذلك العدة مع الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، رضي الله عنهما، فخرجت تحشد الناس، وتؤلبهم، وتسعى بين الناس بالفتنة، لإثارة القوم ضد علي رضي الله عنه؛ لأنها تبغضه، وتضمر له العداوة والبغضاء، كما يقول شيخ الشيعة المفيد[1].

وحملوا قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٠] أن المقصود بالفاحشة هنا قتال علي![2].

وزادوا في طغيانهم، وقالوا إنها خالفت أمر الله تعالى بالقرار في البيت، فتبرجت تبرج الجاهلية الأولى بين الملأ والعساكر في الحروب[3].

وافتروا في هذا الشأن كذبا كثيرا، وصورة سوداء لامرأة لا ترى إلا الغدر، ولا تكف عن التحريض، وتستبيح القتل، وتهيج الناس، وتعصي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتحشد القلوب بالضغينة والحقد والكراهية لعلي رضي الله عنه، وتشتفي

(١) انظر: ((كتاب الجمل)) للمفيد (ص: ٢٩٩).

(٢) ((تفسير القمي)) (١٩٣/٢)، و((الصراط المستقيم)) للبياضي (٣/ ١٦٥-١٦٦)، و((تفسير الصافي)) للكاشاني (٣٥٠/٢-٣٥١).

(٣) ((الجمل)) للمفيد (٧٩-٨١).

بالدم وتبتهج بتساقط الرءوس بين يديها من المسلمين، متوسلةً في سبيل ذلك بكل ما تطيق ولو كان ما كان شناعةً وغدرا!

ولا بــأس بعد ذلك بأهل الإفــك أن يصوروا عليا رضي الله عنه أيضا رجلا ذا بأس وغلظة، لا يتورع عن ســفك دم من يخالفــه، ولا يبالي بمكانة أم المؤمنين، ولا فضل أصحاب النبي الأمين صلى الله عليه وســلم، بل يصول فيهم صولة المســتبد المتربص، الذي لا يكون شــيء أقرب إليه من ســيفه، وتسفيه غيره، ورميه بالضلال والمروق من الدين!

صورة ســوداء حالكة لصحابة رســول الله صلى الله عليه وسلم- تتقاذف فيها التهم بين الصحابة، وتتصارع الأحقاد في الصدور، ويقطر منها الدم بلا رحمة، ويغيب عنها شرف العربي، فضلاً عن نبل المسلم ودينه الذي يحجزه عن اقتراف الموبقات!

بل ولا أكون مبالغاً إذا قلت: إن إفك الرافضة لم يســكت عن الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ جعلوا منه — وحاشاه صلى الله عليه وسلم ولعنة الله على الكذابين -تابعاً لعلي مســلما له زمام زوجاته من بعد وفاته، فمن أطاعته وأسلمت له القياد فهي المرضي عنها، الباقية في ذمة النبي صلى الله عليه وســلم، ومن عصته فله الحق في ســلبها نعت الزوجة وإيقاع الطلاق عليها كما سنرى في سياقة العرض مُوَثَّقاً من كتب القوم!

فهــا هــي الروايات تمد بأصول الكذب إلى حياة النبي صلى الله عليه وســلم، فتزعم أنه عليه الصلاة والســلام تَوعد عائشــة داعيا عليها، وأخبرها أنها ستخالف أمره، وتعصيه بخروجها على علي رضي الله عنه، في كلام يقطع كل من شــم رائحة

السنة أنه ليس من سِنْخِ[1] كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من بيانه المنير.

فقد ذكر الكاشاني[2]، والشيرازي[3] أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع نساءه ونهاهن عن عصيان علي رضي الله عنه، فلم تتكلم -في رواية الكذب- سوى عائشة، وقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بالشيء فنخالفه إلى ما سواه. فقال لها: بلى يا حميراء، قد خالفتِ أمري أشد الخلاف، وأيم الله لتخالفين قولي هذا، ولتعصينه من بعدي، ولتخرجين من البيت الذي أخلفك فيه متبرجةً، قد حف بك فئام من الناس، فتخالفينه ظالمة عاصية لربك، ولينبحنك في طريقك كلاب الحوأب، ألا إن ذلك كائن!

وهي ألفاظ -فضلا عن ظلمة الإسناد إليها- تشهد شهادة العدول على أنها أجنبية عن بيان النبي صلى الله عليه وسلم، بريئة منه، بريء منها، عربية وبيانا وأسلوبا!

وفي بيان أشد عجمةً، يفتري الكذبة قولا ركيكاً منسوبا إلى أفصح ولد آدم صلى الله عليه وسلم لأمنا عائشة رضي الله عنها: (أما تستحين أن تحاربين(!) لمن(!) رضي الله عنه؟! إنه عهد إلي أنه من خرج على علي فهو في النار)![4].

ويكذب الصدوق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسند إلى الحسن العسكري رواية مظلمة متهافتة السند والبيان، تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم -وحاشاه- جعل طلاق زوجاته أمهات المؤمنين، ووقف شرف هذا اللقب، وجعل هذا النعت، كل ذلك إلى علي رضي الله عنه، يحكم فيهن، ويقضي لمن

---

(١) سِنخ الشيء: أصله. انظر: ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٢/٤٠٨).

(٢) ((علم اليقين)) (٢/٦٥٩-٦٦٠).

(٣) ((الدرجات الرفيعة)) (٣٠٣-٣٠٤).

(٤) ((الصراط المستقيم)) للبياضي (٣/١٦٢).

أطاعـــت فخضعت بثبات زواجها وثبوت نعتها، وعلى من أبت وعصت بالتطليق، وسقوط شرف أنها أم المؤمنين!

وتقول الرواية: (يا أبا الحسن! إن هذا الشرفَ باقٍ لهن ما دمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها في الأزواج(!) وأسقطها من تشرف الأمهات، ومن شرف أمومة المؤمنين)![1].

وهذه الرواية، فضلا عن كذب إســنادها المفترى، تطعن في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم أصالةً؛ حيث جعلت منه تابعا لحكم علي، في أخص ما يخص الرجــل، وهم أهل بيته من نســائه، وفي أخص أمور البيــت، وهو ولايته على أهله وقوامته عليهن!

فالولايـــة منه لعلي، والقوامة مصروفة عنـــه لعلي، والحكم القرآني بأنهن أمهات المؤمنين مُعَلَّقٌ بحكم علي ومشــيئته، فلم يرضوا بالطعن في شخص رسول الله صلى الله عليه وســلم، وإعلاء مكانة علي وجعل الســلطان له عليه في أخص ما يكون مـــن أمر الرجل مع أهله، حتى جعلــوا عليا رضي الله عنه ندا لله رب العالمين، يعلق مـــا قضاه، وينقض ما صرح به في كتابه المجيد بأن أزواج نبينا صلى الله عليه وســـلم أمهـــات للمؤمنـــين ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ [الأحزاب: ٦] نعوذ بالله من الضلال المبين!

(١) ((إكمال الدين)) للصدوق (٤٢٩-٤٣٠).

وإن في بيان الرواية من بعد لشاهداً بالبطلان من حيث العربية، وما يعي عاقل مــن قول ذلك الأعجمي الوضاع: فطلقها في الأزواج؟! ثم يقول في عجمة محكمة: وأسقطها من تشرف الأمهات!

ثم إن الكاذب لم يعلم أنه ليس معهودا من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تكنيته بأبي الحسن، ولم يرد في ذلك إلا حديثٌ حكم عليه أهل العلم بالوضع في سنن الترمذي، وهو حديث الدعاء بالحفظ..

وإنما داعبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قائلا: ((قم أبا تراب))، وكانت أحبَّ الكُنى إلى علي رضي الله عنه[١].

ولهــم في ذلك إفك عريض، في روايات متعــددة مبثوثة في كتبهم، ومجاميعهم المعتمدة، ومن ذلك الرواية المفتراة عليه رضي الله عنه، أنه قال لها: (إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، وإن كففتِ عني عزرتك وإلا طلقتك)![٢]

وهي روايات يرُدُّها قبل الحكم بفسادِ الإسنادِ، صِحَّةُ الاعتقاد.

ولكن القوم زاغت قلوبهم، فافتروا أن أمنا أســاءت القول والعمل، وســاقت النــاس بين يديهــا تقودهم إلى حرب علي رضي الله عنه، مــذ سمعت بتوليته إمارة المؤمنين، وحشدت الأجناد ممهدةً لحرب الجمل، محرضَّة الزبيرَ على خلع يد الطاعة، ونقض البيعة لعلي رضي الله عنه قائلة له: (اشتركتَ في دم عثمان– وهذا من الإفك

(١) ((البخاري)) (١/٦٩) (٤٤١)، ((مسلم)) (٤/١٨٧٤) (٢٤٠٩).

(٢) ((إكمال الدين)) للصدوق (٤٢٩-٤٣٠).

الخالص، فلم يشارك الزبير قط في قتل ذي النورين رضي الله عنهما- ثم بايعتَ لعليٍّ وأنت والله أحق بالأمر منه)[1].

وهكــذا يصور الشــيعة أم المؤمنين، محرضة على القتــل، مبغضة لعلي، كارهة لبيعته، مستحلة دماء المسلمين، تسوق عقولهم وأجسادهم إلى القتل والحرب، مختالةً تياهةً، ظامئةً للفتك بعلي وتدمير جيشه!

ويأبى الله إلا أن يهتك ستر المفترين على الصديقة رضي الله عنها، من كلامهم، وكتبهــم، فقد روى الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) بإســناده أن جيش عائشــة مروا بماء يقال له ماء الحوأب، فنبحتهم كلابه، فقالت عائشــة: ما هذا الماء؟ فقال بعضهم: ماء الحوأب. فقالت عائشــة: إنا لله وإنا إليه راجعون.. ردوني ردوني! هذا الماء الذي قال لي رســول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوأب)). فأتاها القوم بمن شهد وأقسم أن هذا الماء ليس بماء الحوأب[2].

وفي هذه الرواية في كتاب إمامهم الأكبر المفيد، تبرئة أم المؤمنين من هذا الضغن الذي نســبوه إليها، فهل من تتجرأ على حرمات الله، وتكسر وصاة النبي صلى الله عليه وســلم، وتخرج متبرجةً بين الرجال، عازمة عزماً مؤكدا لا تردد فيه على الفتك بعلي، وشفاء صدرها المثقل بالعداوة بقتله وتأليب الناس عليه.. أفتكون تلك الصورة التي رسموها لأمنا رضي الله عنها، مُتَسَاوِقَةً مع هذه الرواية التي تدل على خوفها من رب العالمين، وندمها على الخروج، واســترجاعها بالتأسف عند علمها باسم المكان وأنه ماء الحوأب؟!

---

(١) ((الجمل)) للمفيد (ص: ١٢٣).

(٢) ((من لا يحضره الفقيه)) (٤٤/٣).

أتكون العاصية لله – وحاشاها–، ولرسوله– وحاشاها– المصممة على القتال، الضاربة بعرض الحائط بوصاة النبي صلى الله عليه وسلم، المجترئة على الحدود –كما افترى الشيعة وتكذبوا– مظهرة للأسـف، نادمةً، مسترجعةً، رقيقة القلب، خاشعة منيبة، يحتاج القوم –حسب الرواية المكذوبة– للكذب عليها بالأيمان المغلظة، أن هذا ليس ماء الحوأب؛ لكي تسير معهم، خشية رجوعها عنهم وتركها للأمر كله؟!

فأين قيادتها للناس إذن؟ وأين حشدها لهم إذن؟! وأين بغضها لعلي إذن؟! وأين خروجها عن طاعة الله وطاعة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم إذن؟! وأين عزمها المتوقد لسفك دم علي وخلع ولايته؟!

بل وذكر المفيد في الكتاب نفسه –كتاب الجمل– أن الأحنف بن قيس قدم على عائشة رضي الله عنها وهي بمكة، وعثمان محاصر بالمدينة، وقد سألها من يبايع إن قتل عثمان؟ فقالت له: بايع علياً[1].

وهذا شـأن الكذب، لا يستقيم لصاحبه قط، ولابد وأن يظهر عواره، وتناقض أمره، ويلوح بلا خفاء ضرب الكلام بعضه بعضاً، وهذا أوان كشـف الحق الذي لا مرية فيه، فنقول:

قتلُ عثمان –رضي الله عنه– يوم الجمعة لثمان عشـرة خَلَتْ من ذي الحجة، سـنة خمسـة وثلاثين على المشـهور، وعلم الناس ومنهم أمنا رضي الله عنها بمقتل عثمان رضـي الله عنه، واجتماع الناس لبيعة علي رضي الله عنه، فبايعتْ رضي الله عنها، وأوصت الآخريـن بالبيعة لعلي رضي الله عنه، ولكن القلوب كانت متفجعةً

(١) ((الجمل)) للمفيد (ص:٧٣).

بمقتـــل النقي التقي أبي عبـــد الله ذي النورين رضي الله عنه، على يد الفئة الآثمة التي روعت الناس، وقتلت أمير المؤمنين.

فنهض طائفة من الصحب الكرام إلى بيعة علي رضي الله عنهم أجمعين، وسألوه القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فاستأناهم، وسألهم الصبر؛ لأن للقوم منعة وقـــد اختلطوا بالناس، ومن ورائهم قبائلهم تمنعهم، وتحوطهم، وتحول دون القصاص منهـــم، فلابد من تثبيت الأمر ودعم أركان الخلافـــة، حتى يتم القصاص، ولا تهيج الفتن من جديد. حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما كان يخشى على علي أن يصيبه أولئك القوم بســـوء، فنصحه ألا يقوم في المسجد ليبايعه الناس، وليختر مكانا آخر، فأبى علي رضي الله عنه إلا المسجد[1].

ومضت الأيام، حتى فنيت شهور أربعة على مقتل عثمان، ولم يقتص من قتلته، واختلـــف الصحابة في اجتهادهم، وكان علـــي رضي الله عنه أولى الطائفتين بالحق، ولكن قضى الله أن ينشب الخلاف، وتتعارض الأمور، وينفث السبئية[2] وأهل الحقد نفثهم في القوم؛ ليفسدوا بين الفريقين؛ فإن في اتحاد الأمة فناءهم هم، فأثاروا الناس، وألبوا القوم، وكان ما كان.

وتداعت الجموع مطالبة بدم عثمان رضي الله عنه، واجتهدت أم المؤمنين رضي الله عنهـــا في الخروج، متأولةً قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] ورأت لما لها من مكانة وفضل في قلوب المؤمنين

(١) ((الطبري)) (٤/٤٢٧) بسند حسن.

(٢) أتباع عبد الله بن سبأ، المعروف بابن السوداء، رأس الإجرام الباطني.

أن تنهض لهذا الأمر، لاسيما وأن الأمر بالقرار في البيت، لا ينافي السعي لمصلحة، وقضاء حائجة، وما أعظمها من غاية أن تسعى أمنا رضي الله عنها للصُّلح بين الطائفتين، مُسَلِّمَةً لخلافة علي رضي الله عنه، لا خارجة عليه، ولا ناكثة لبيعته.

يقول الإمام ابن بطال رحمه الله تعالى تعليقاً على موقف أبي بكرة رضي الله عنه في حديث لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة: (وأما حديث أبى بكرة فإن في ظاهره توهيةً لرأي عائشة في الخروج. قال المهلب: وليس كذلك؛ لأن المعروف من مذهب أبى بكرة أنه كان على رأي عائشة وعلى الخروج معها، ولم يكن خروجها على نيّة القتال، وإنما قيل لها: اخرجي لتصلحي بين الناس؛ فإنكِ أمهم، ولم يَعُقُّوكِ بقتال. فخرجت لذلك، وكان نية بعض أصحابها إن ثبت لهم البغي أن يقاتلوا التي تبغي، وكان منهم أبو بكرة، ولم يرجع عن هذا الرأي أصلاً).

ثم قال رحمه الله: (وليس في الإسلام أحد يقول: إن عائشةَ دعت إلى أمير معها، ولا عارضت علياً في الخلافة، ولا نازعته لِأَخْذِ الإمارة، وإنما أنكرت عليه مَنْعَه من قتلة عثمان، وتركهم دون أن يأخذ منهم حدود الله ودون أن يقتصّ لعثمان منهم، لا غير ذلك).. إلخ كلامه رحمه الله[1].

ومع هذا العزم الشريف، وهذه النية المباركة، لم تفارق أمنا رضي الله عنها سمتها الخاشع الأواب، عندما بلغت ماء الحوأب، فاسترجعت وأرادت الرجوع، أخذاً بالسلامة، ونأيا عن الأمر كله، خشية أن يكون فيه شيء.

(١) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال (١٠/٥١).

فقد أخرجَ أحمد في (المسند)[1]، والحاكم في (المستدرك)[2]: ((أنَّ عائشة -رضي الله عنها- لما بلغَتْ مياه بَني عامر ليلاً، نبحتِ الكلاب، قالتْ: أيُّ ماء هذا؟ قالوا: ماءِ الحَوْأَب، قالتْ: ما أظنُّني إلا راجعة؛ إنَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لنا: كيف بإحداكُنَّ تنبحُ عليها كلابُ الحَوْأَب؛ فقال لها الزبير: ترجعينَ! عسى الله -عزَّ وجلَّ - أن يُصلحَ بكِ بين الناس))[3].

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى، مبينا أصل الأمر ومجليا لنا حقيقة ما كان: (وأشرفَ القومُ على الصُّلْح؛ كَرِهِ ذلك مَن كَرِهه، ورَضِيه مَن رَضِيه، وأَرْسَلتْ عائشة إلى علي تُعْلِمه أنَّها إنَّما جاءتْ للصلح، ففرِحَ هؤلاء وهؤلاء، وقامَ عَلِي في الناس خطيباً، فذكَرَ الجاهليَّة وشقاءَها وأعمالَها، وذَكَر الإسلام وسعادة أهْله بالأُلفة والجماعة، وأنَّ الله جمعَهم بعد نبيِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - على الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدَثَ هذا الحدَث الذي جرَّه على الأُمَّة أقوامٌ طلبوا الدنيا، وحسدوا مَن أنعمَ الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي مَنَّ الله بها، وأرادوا ردَّ الإسلام والأشياء على أدْبارها، والله بالغُ أمرِه، ثم قال: ألا إنِّي مُرتحلٌ غداً فارتحلوا، ولا يرتحلُ معي أحدٌ أعانَ على قتْلِ عثمان بشيءٍ من أمور الناس.

فلمَّا قال هذا، اجتمَعَ مِن رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشُريح بن أوْفى، وعبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم

---

(١) ((مسند أحمد)) (٤١/١٩٧) (ح ٢٤٦٥٤).

(٢) ((المستدرك)) (٣/١٢٩) (ح ٤٦١٣).

(٣) قال الألباني: إسنادُه صحيح جدّاً، صحَّحه خمسة من كبار أئمة الحديث هم: ابن حِبَّان، والحاكم، والذهبي، وابن كَثير، وابن حَجر؛ ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (رقم ٤٧٤).

صحـــابي ولله الحمد، فقالوا: ما هذا الرأْي؟ وعلـــي – والله – أعلمُ بكتاب الله مِمَّن يَطْلب قتَلة عثمان، وأقربُ إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتُم، غداً يَجمع عليكم الناس، وإنَّما يريدُ القومُ كلُّهم أنتم، فكيف بكم وعددُكم قليلٌ في كثرتهم.

فقـــال الأشـــتر: قد عرفنا رأي طلحـــة والزبير فينا، وأمّـــا رأي علي، فلم نعرفه إلاّ اليـــوم، فـــإن كان قد اصطلح معهم، فإنّما اصطلح علـــى دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليّاً بعثمان، فرضي القوم منّا بالســـكوت. فقال ابن السّوداء: بئس ما رأيت، لو قتلناه قتلنا، فإنّا يا معشـــر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائةٍ، وطلحة والزّبير وأصحابهما في خمسة آلافٍ، ولا طاقة لكم بهم، وهم إنّما يريدونكم. فقال علباء بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتّى نتعلّق ببعض البلاد فنمتنع بها. فقال ابن السّـــوداء: بئس ما قلت، إذاً واللّه كان يتخطّفكم النّاس. ثمّ قال ابن السّـــوداء، قبّحه اللّه: يا قوم إنّ عزّكم في خلطة النّاس، فإذا التقى النّاس فأنشبوا القتال، ولا تفرّغوهم للنّظر، فمن أنتم معه لا يجد بدّاً من أن يمتنع، ويشـــغل اللّه طلحة والزّبير ومن معهما عمّا تكرهون. فأبصروا الرّأي وتفرّقوا عليه)؛ انتهى كلام ابن كثير[1].

ثم يقـــول رحمه الله في موضع آخر: (وبـــات النّاس بخير ليلةٍ، وبات قتلة عثمان بشرّ ليلةٍ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلـــوع الفجر، وهم قريب من ألفي رجلٍ فانصـــرف كلّ فريقٍ إلى قراباتهم، فهجموا عليهم بالسّـــيوف، فثار كلّ طائفةٍ إلى قومهم ليمنعوهم، وقام النّاس من منامهم إلى السّلاح، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، وبيّتونا وغدروا بنا.

---

(١) ((البداية والنهاية)) ط هجر (١٠/٤٥٠).

وظنّــوا أنّ هذا عن ملأٍ من أصحاب علــيٍّ، فبلغ الأمر عليّاً فقال: ما للنّاس؟ فقالوا بيّتنا أهل البصرة. فثار كلّ فريقٍ إلى ســلاحهم، ولبسوا اللّأمة، وركبوا الخيول، ولا يشــعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر. وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً. فنشــبت الحرب وتواقف الفريقان، وقد اجتمع مع عليٍّ عشــرون ألفاً، والتفّ على عائشــة ومن معها نحو من ثلاثين ألفاً، وقامت الحرب على ساقٍ، وتبارز الفرسان، وجالت الشّجعان، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

والسّــبئيّة أصحاب ابن السّوداء، قبّحه اللّه لا يفترون عن القتل، ومنادي عليٍّ ينادي: ألا كفّوا! ألا كفّوا! فلا يســمع أحد، وجاء كعب بن ســورٍ قاضي البصرة، فقال: يا أمّ المؤمنين أدركي النّاس، لعلّ اللّه أن يصلح بك بين النّاس. فجلســت في هودجها فوق بعيرها، وستروا الهودج بالدّروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى النّاس في معركتهم)[1].

فهؤلاء هم جماعة التأليب، وأصل التخريب الذين أفسدوا ما بين الفريقين من المؤمنــين، وأثاروا الناس ودفعوهم إلى القتــال، في معركة اضطُرُّوا إليها، ولم يختاروها، وإنما هو اختلاف الاجتهاد فيما بينهم، والكل على خير، وما منهم من أحد يرضى لأخيه مس الأذى، وأولهم أمنا عائشة رضي الله عنها، وعلي رضي الله عنه.

يقــول أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى: (وقد قتل مع هذا بشــر كثير جدّاً، حتّى جعل عليّ يقول لابنه الحســن: يا بنيّ ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشــرين سنةً. فقال له: يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا.

(١) ((البداية والنهاية)) ط هجر (١٠/٤٥٥).

قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن قيس بن عبادٍ قال: قال عليّ يوم الجمل: يا حسن، يا حسن، ليت أباك مات منذ عشرين سنةً. فقال له: يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا. قال: يا بنيّ إنّي لم أر أنّ الأمر يبلغ هذا. وقال مبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أبي بكرة: لما اشتدّ القتال يوم الجمل، ورأى عليّ الرّءوس تندر، أخذ عليّ ابنه الحسن، فضمّه إلى صدره، ثمّ قال: إنّا للّه يا حسن! أيّ خيرٍ يرجى بعد هذا)[1].

وهذه أمنا الصديقة تسأل عمن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر عليٍّ، فجعلت كلّما ذكر لها واحد ترحّمت عليه ودعت له[2].

وندمت أمنا على خروجها ندما أسيفا، ورأت أن الأولى بها كان عدم الخروج، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه: (وكذلك عائشة - رضي اللّه عنها - ندمت على مسيرها إلى البصرة، وكانت إذا ذكرته تبكي حتّى تبلّ خمارها)[3].

ولم يكن منها رضي الله عنها إلا ذلك الأسف الخاشع، والندم التام كما ذكر أبو عبد الله الذهبي في السير قائلا: (ولا ريب أنّ عائشة ندمت ندامةً كلّيّةً على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أنّ الأمر يبلغ ما بلغ)[4].

وكانت أمنا تذكر ذلك، وتتحدث به ندماً على ما كان، وتقول- كما مر معنا-: (إنّي أحدثت بعد رسول الله -صلّى اللّه عليه وسلّم- حدثاً، ادفنوني مع أزواجه.

---

(١) ((البداية والنهاية)) (١٠/٤٥٦).

(٢) ((المصدر السابق)) (١٠/٤٧١).

(٣) ((منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية)) (٦/٢٠٨).

(٤) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٧٧).

فدفنت بالبقيع – رضي الله عنها)، ويعلق الإمام الذهبي قائلاً:

قلت: تعني بالحدث: مسـيرها يوم الجمل، فإنّها ندمت ندامةً كلّيّةً، وتابت من ذلك، على أنّها ما فعلت ذلك إلاّ متأوّلةً، قاصدةً للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزّبير بن العوّام، وجماعة من الكبار –رضي الله عن الجميع –[1].

فهذه صورة أمنا الحقة التي أراد القوم هدمها، والطعن فيها بما هي براء منه، وإنما خرجت متأولة مجتهدة، فكان اجتهادها من الخطأ المغفور، بل من الاجتهاد المأجور.

وهكذا كان خلقها القويم الراشد الذي لم يحد يوما عن صراط الخير وطريق الإصلاح والسعي في سبيل هذا الإصلاح بكل سبيل نبيلٍ مُوصل إليه.

وقد كان علي رضي الله عنه يعلم ذلك منها، ويعظم قدرها.

يقول أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى: (ولما أرادت أمّ المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها عليّ، رضي اللّه عنه، بكلّ ما ينبغي من مركبٍ وزادٍ ومتاعٍ وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممّن جاء في جيشها أن يرجع معها، إلّا أن يحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات.

وسيّر معها أخاها محمّد بن أبي بكرٍ، فلمّا كان اليوم الّذي ارتحلت فيه، جاء عليّ فوقف على الباب وحضر النّاس معه وخرجت من الدّار في الهودج، فودّعت النّاس ودعت لهم وقالت: يا بنيّ لا يعتب بعضنا على بعضٍ، إنّه واللّه ما كان بيني وبين عليٍّ في القدم إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنّه على معتبتي لمن الأخيار. فقال عليّ: صدقت واللّه ما كان بيني وبينها إلّا ذاك وإنّها لزوجة نبيّكم، صلّى

(١) ((سير أعلام النبلاء)) (٢/١٩٣).

اللّه عليه وسلّم، في الدّنيا والآخرة، وسار عليّ معها مودّعاً ومشيّعاً أميالاً وسرّح بنيه معها بقيّة ذلك اليوم – وكان يوم السّبت مستهلّ رجبٍ سنة ستٍّ وثلاثين – وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكّة، فأقامت بها إلى أن حجّت عامها ذلك، ثمّ رجعت إلى المدينة، رضي اللّه عنها)(1).

هذه هي أم المؤمنين رضي الله عنها في سعيها النبيل بين المسلمين، والنهوض بما يوجبه عليها شرف المكانة من الإصلاح بينهم، وجمع قلوبهم، وتوحيد كلمتهم، يعرف ذلك لها كل مؤمن تقي القلب، نقي الصدر من شوائب الحقد، وأولهم علي رضي الله عنه الذي اختلق القوم ما اختلقوا من روايات الإفك عنه.. ها هو يعرف لأمه قدرها، ويعاملها بما تستحق من الإجلال والتقدير، ويسلك معها خير سبيل بأقوم خُلق.

فأين هذا التصرف النبيل من أمير المؤمنين علي، وإجلاله لأمه وأمنا رضي الله عنها، مما افتراه العاملي، وعنون له في (صراطه المستقيم) فصل: في أم الشرور! وقال: أكثر اعتقاد القوم على رواياتها، وقد خالفت ربها ونبيها في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال ابن عباس: لما علم الله حرب الجمل قال لنساء النبي صلى الله عليه وآله ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ الآية وفي أعلام النبوة للماوردي وفردوس الديلمي عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله لنسائه: أيكم صاحبة الجمل الأديب

(١) ((البداية والنهاية)) (١٠/٤٧١).

تخرج فتفضحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها ويسارها كثير![1].

صورة تقطر سوادا من نفوس امتلأت بالحقد على أمنا رضي الله عنها، وتناقض قول رب العالمين: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦]، وصريح دلالة الآية على أن زوجات نبينا أمهات للمؤمنين، ولكن هذا الرافضي أبى ما حكم به رب العالمين في كتابه المجيد ونعتها بلقب يليق بسواد حقده، فقال: أم الشرور!

وما عسى ينال هذا الأفاك منها، وقد شهد لها رب العالمين بأنها وغيرها من زوجات نبينا أمهات للمؤمنين؟!

يقابلها صورة ناصعة البياض لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الذين كانت تحملهم نياتهم البيضاء، معتصمين بالخلق السامي، والإيمان القويم، في ميدانٍ سرعان ما تتخلى فيه النفوس عن قيمها ومبادئها، فلا يكون حاكما إلا السيف وما يتصل به من حقد وضرام ورغبة محمومة في سفك الدماء وإزهاق الأنفس، رضي الله عنهم أجمعين، وسلامٌ من الله على أمنا الصديقة الطيبة المطيبة.

الصِّلُّ الخامس: فرية تحريضها على قتل عثمان رضي الله عنه:

وهنا يظهر ما أشرنا إليه من قبل، من تناقض أهل الإفك؛ إذ لا تصح لهم فرية، حتى يختلقوا ما يناقضها!

(١) ((الصراط المستقيم)) (١٦١/٣).

فقد زعموا أنها خرجت على علي رضي الله عنه، وأبت بيعته، وحرضت الناس علــى قتاله؛ حميــة لعثمان رضي الله عنه، ثم ها هم- وهــذا من القبح المتناقض!- يقولون: إنها حرضت الناس على قتل عثمان رضي الله عنه!

فكيف يجتمع المتناقضان؟! أتدعو لقتل عثمان، ثم تخرج مطالبة بدمه؟!

ومــن له بقيةٌ من عقل قبل اطلاعه على ســند تلك الفرية ســيردها في صدر قائلها، ويجعلها دلالةً على ضعف عقله قبل أن تكون دالةً على رقة دينه وضعفه!

وما احتجَّ عاقل على فساد عقل إنسان بمثل ما يحتج على فساد أولئك المفترين!

فقد زعموا-بإســناد مظلم- أنها رضي الله عنها حرضت على قتل أبي عبد الله ذي النورين رضي الله عنه، ونادت في الناس قائلةً: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1].

وهــذه الروايــة المظلمة - وقد ذكرهــا الطبري في تاريخه- مشــحونة بالكَذَبَةِ والمجاهيل، على النحو التالي:

- سيف بن عمر الضبي الذي اتهم بالزندقة ووضع الحديث[2].
- نصر بن مزاحم الكوفي، رافضي كذاب جلد، قال أبو حاتم الرازي واهي الحديث متروك الحديث[3].

---

(١) النعثل: يهودي كان بالمدينة، وقيل رجل من أهل مصر، عظيم اللحية، وكان نبزا يعيب به الآثمون عثمان رضي الله عنه انظر: ((غريب الحديث)) للقاسم بن سلام (٤٦٢/٣)، و((غريب الحديث)) لابن الجوزي (٤١٨/٢).

(٢) ((المجروحين)) لابن حبان (٤٣٩/١)، وانظر: ((كتاب الضعفاء الكبير)) العقيلي (١٧٥/٢)، و((الضعفاء والمتروكين)) للنسائي (١٨٧).

(٣) ((لسان الميزان)) (١٥٧/٦).

وأيضا فإن في الرواية قول الراوي: عن أسد بن عبد الله عمن أدرك من أهل العلم أن عائشة رضي الله عنها..

فمن هم هؤلاء الذين حدثوا بذلك عن عائشة ؟ ومتى كان بناء التواريخ، والأخبار معتمدا في ديننا على رواية المجاهيل؟!

وعن هذه الرواية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على شيخ الرافضة ابن المطهر الحلي: (فيقال له: أوّلاً، أين النّقل الثّابت عن عائشة بذلك؟

ويقال: ثانياً: المنقول الثّابت عنها يكذّب ذلك، ويبيّن أنّها أنكرت قتله، وذمّت من قتله، ودعت على أخيها محمّدٍ وغيره لمشاركتهم في ذلك)[1].

ثم قال رحمه الله تعالى في عبقرية رائعة تُظْهِر تناقض الرافضة، الذين يطعنون في عائشة، ثم يطعنون في عثمان رضي الله عنه، ويجعلون طعنها فيه مثلبةً فيها!

(ويقال: إنّ هذا المنقول عن عائشة من القدح في عثمان: إن كان صحيحاً فإمّا أن يكون صواباً أو خطأً، فإن كان صواباً لم يذكر في مساوئ عائشة، وإن كان خطأً لم يذكر في مساوئ عثمان، والجمع بين نقص عائشة وعثمان باطل قطعاً. وأيضاً فعائشة ظهر منها من التّألّم لقتل عثمان، والذّمّ لقتلته، وطلب الانتقام منهم ما يقتضي النّدم على ما ينافي ذلك، كما ظهر منها النّدم على مسيرها إلى الجمل؛ فإن كان ندمها على ذلك يدلّ على فضيلة عليٍّ واعترافها له بالحقّ، فكذلك هذا يدلّ على فضيلة عثمان واعترافها له بالحقّ، وإلّا فلا)[2].

---

(١) ((منهاج السنة النبوية)) (٣٣٠/٤).

(٢) ((المصدر السابق)) (٣٣٥/٤) بتصرف يسير جدا.

وقـد كانت رضي الله عنها تشـتد في الإنكار على مـن قتل عثمان رضي الله عنه، وتقول-كما في تاريـخ خليفة بن خياط- (تركتموه كالثّوب النقي من الدنس ثمّ قربتمـوه تذبحونه كما يذبح الكبش! قال مسـروق: فقلت: هذا عملك؛ كتبت إلى النّاس تأمرينهم بالخروج عليه؟! فقالت عائشـة: والّذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتّى جلست مجلسي هذا). قال الأعمش فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[1].

وتنعت قاتليه بالغوغاء الذين اسـتحلوا الشهر الحرام والبلد الحرام، وتقول: (والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم!)[2].

فأنى لها أن تسـعى في قتل من تشـهد له بهذا أمام العالمين؟! سـبحانك هذا بهتان عظيم!

فلم يكن للطاعنين سـبيل على أمنا رضي الله عنها في هذه الفرية إلا الكذب عليها في حياتها، وبعد مماتها رضي الله عنها، ولكنهم لا يزالون متناقضين كما استبان لنا في دفع هذا الافتراء الأثيم.

الصِّلُّ السادس: إفشاء سر النبي وكفرها!

وهذه فرية سـاقها الرافضة في كتبهم، يتهمون فيها أمنا عائشـة وأمنا حفصة بإفشـاء سـر النبي صلى الله عليه وسلم، باعتباره ولاية علي رضي الله عنه، والحكم عليهما بالكفر بسبب ذلك!

---

(١) ((تاريخ خليفة بن خياط)) (ص: ١٧٦).

(٢) ((تاريخ الطبري)) (٤/٤٤٩).

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٣ – ٤].

دالٌّ على زيغ قلوبهما وميلهما عن الإسلام، وكفرهما بما فعلتاه رضي الله عنهما، من إفشاء السر الذي قال بعضهم إنه خلافة أبي بكر، وقال الآخرون إنه الإخبار بأن عليا هو الوصي!

وقبل النظر في هذه الفِرية من نصوص القوم، فإن العجب لا ينتهي من إفك الرافضة؛ إذ يلصقون كل قبيح بأمنا الصديقة رضي الله عنها، ويدعونها أم الشرور- كما سنشير لذلك فيما بعد-، ويخلقون إفكا كبيرا في هذا رأينا منه طرفا يسيرا فيما مر بنا.

فإذا كانت أمنا بهذه المثابة لديكم، أفما كانت لكم عقول تعصمكم من التناقض عند اختلاق الكذب، فتزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر إلى أمنا عائشة هذا السر، الذي به قِوام عقيدتِكم، وهو إمامة علي رضي الله عنه، مما يعني أنها كانت أقربَ الناس إليه؛ إذ لا يسر الإنسان ما بصدره إلا لمن كان دانيا من قلبه قريباً من روحه، حتى قيل في الحِكَمِ المأثورة: سِرُّكَ دمك فانظر أين تريقه.. فكيف بمثل هذا السر الذي لا يصح للمرء إيمان إلا به في اعتقادكم؟!

فلو أن أمنا عائشة رضي الله عنها بهذه الصورة التي اختلقتها رواياتكم الآثمة، حقدا وكراهية عليها، فلم يُسِرُّ النبي صلى الله عليه وسلم حديثه إليها؟! وهل كنتم تعلمون عنها شيئا لم يكن يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، فكنتم أشد بصرا بها،

وأكثر إحاطةً بصفاتها، من المعصوم الذي يأتيه الوحي من رب العالمين؟!

ثم إن كان القول بأن هذا الســـر هو الوصية بأبي بكر خليفةً، ومن بعده عمر، فقد نقضتم دينكم، وأتيتم على كل المذهب الرافضي، وقضيتم عليه وعلى علمائكم بالضلال المبين؛ فالكل يتســـتر بدعوى ولاية علي، وأنه الوصي، وأن الوصية بالنص عليه مذكورة في الكتاب الذي ادعيتم تحريفه، والحديث الذي اختلقتموه!

فإما أن تقولوا بصحة ذلك، فيذهب التشـــيع جملةً، ويبطل أصل المذهب، وإما أن تقولوا بكذب ذلك، فتذعنوا لفضل أمنا الصديقة رضي الله عنها، وترجعوا للحق ناصعا ليس فيه زيغ، وهو ما عليه أهل السنة الأبرار!

أَلَا إنَّ القـــوم ليعلمون مكانتها من النبي صلى الله عليه وســـلم، ولكن زاغت قلوبهم فافتروا الأكاذيب التي تطعن فيها، ومع هذا الجهد المريض في اختلاق الكذب الباطل، تبقى رواياتهم دالة بدلالة العقل والنظر السوي والفكر المستقيم على مكانة أمنـــا الصديقة رضي الله عنها من بابة أخرى لم ينتبه إليها القوم، وقد أبى الله إلا أن يكون في أطواء دليلِ كلِّ كذابٍ دليلٌ عليه، عَلِم ذلك مَن عَلِمه وجَهِلَه مَن جَهِلَه!

ومن تناقض القوم تضارب أقوالهم، ما السر الذي أُذِيعَ؟ ومَنِ الذي أذاعه؟

فعمدة مفســـريهم القمي، ومن تبعه، يقولون بأن السر هو تولية أبي بكر ومن بعده عمر، وأن التي أفشت هذا السر هي أمنا حفصة رضي الله عنها[1].

---

(١) ((تفسير القمي)) (٢/٣٧٥-٣٧٦)، و((تفسير الصافي)) للكاشاني (٢/٧١٦-٧١٧)، و((الأنوار النعمانية)) للجزائري (٤/٣٣٦-٣٣٧).

بينما يقول آخرون كالفيض الكاشاني، ونور الله التستري، وصدر الدين الشيرازي الحسيني، ومن تبعهم، أن السر هو الوصاة لعلي، وأن التي أفشت السر هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[١].

ويكمل القوم الفرية، بأن أبا بكر وعمر وابنتيهما تواطئوا جميعا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم، عندما علموا بهذا السر![٢].

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] أي زاغتا عن الإيمان إلى الكفر، ورووا هذه الرواية، كما يقول البياضي:

في حديث الحسين بن علوان والديلمي عن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣]، هي: حفصة. قال الصادق عليه السلام: كفرت في قولها: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ [التحريم: ٣]. وقال الله فيها وفي أختها: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] أي زاغت، والزيغ الكفر!

وفي رواية أنه أعلم حفصة أن أباها وأبا بكر يليان الأمر، فأفشت إلى عائشة، فأفشت إلى أبيها فأفشى إلى صاحبه، فاجتمعا على أن يستعجلا ذلك يسقينه سما، فلما أخبره الله بفعلهما هم بقتلهما، فحلفا له أنهما لم يفعلا[٣]، فنزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) ((علم اليقين)) للكاشاني (٢/٦٣٧-٦٣٩)، ((إحقاق الحق للتستري)) (٣٠٧)، و((الدرجات الرفيعة)) للشيرازي (٢٩٦-٢٩٨).

(٢) ((تفسير العياشي)) (١/٢٠٠)، و((بحار الأنوار)) للمجلسي (٦/٨)، و((تفسير الصافي)) للكاشاني (١/٣٠٥).. وغيرها.

(٣) ((الصراط المستقيم)) للبياضي، افتراء على جعفر الصادق رحمه الله تعالى (٣/١٦٨).

كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التحريم: ٧].

وهكذا نزع القوم عن أمنا رضي الله عنها إيمانها، ورموها بالكفر الغليظ استنادا على رواية لا سند لها! وسيأتي في سياقة حديث الإفك ذكر حُكم من كان هذا شأنه إن شاء الله.

والناظر في كتب أهل العلم، وما صح من أحاديث يجد أن الأمر لا يعدو شيئا من الضعف الأنثوي، عندما تلم الغيرة بقلب المرأة المحبة لزوجها، فتؤدي بها الغيرة إلى بعض ما قد يكون غيره أولى منه، لاسيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم، الذي لابد من توقيره وإجلاله، والبعد عما يكدر صفوه، والقيام بحقه أتم قيام.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أمنا رضي الله عنها خبر هذا السر، وقصة هذا الأمر، قالت: ((أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يمكث عند زينب بنت جحشٍ، ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة: أنّ أيّتنا دخل عليها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فلتقل: إنّي أجد منك ريح مغافير[1]، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحشٍ، ولن أعود له)). فنزلت ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التحريم: ١] - إِلَى ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤] - لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ

---

(١) المغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط حلو، غير أن رائحته ليست بطيبة. انظر: ((لسان العرب)) (٣٥٠/٧)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أنقى الناس وأطهرهم؛ فكره أن يجد منه نساؤه رائحةً غير طيبة.

وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣] لِقَوْلِهِ: ((بل شربت عسلاً))(١).

وفي سبب نزول هذه الآيات سببٌ أشهرُ وأذكَرُ من رواية العسل: وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم حرَّم على نفسه جاريته مارية القبطية، وأسرَّ ذلك لأمنا حفصة، فأخذها ما أخذها من الفرح، وذهبت لتبشر أمنا عائشة رضي الله عنها، وخالفت وصية النبي صلى الله عليه وسلم بعدم إفشاء سره.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عند ذكره سبب اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه، وسرد الأقوال في ذلك: (والرّاجح من الأقوال كلّها قصّة مارية لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنّه اجتمع فيه جماعة منهنّ)(٢).

وفي موضع آخر بعد إشارته إلى حديث أمنا عائشة في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم شربَ العسل على نفسه؛ لكراهته أن يكون من فمه رائحة، قال الحافظ: (ووقع عند سعيد بن منصورٍ بإسنادٍ صحيحٍ إلى مسروقٍ قال: حلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لحفصة لا يقرب أمته، وقال: هي عليّ حرام. فنزلت الكفّارة ليمينه، وأمر أن لا يحرّم ما أحلّ اللّه... وأخرج الضّياء في المختارة من مسند الهيثم بن كليبٍ ثمّ من طريق جرير بن حازمٍ عن أيّوب عن نافع عن بن عمر عن عمر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لحفصة: لا تخبري أحداً أنّ أمّ إبراهيم عليّ حرام. قال: فلم يقربها حتّى أخبرت عائشة، فأنزل اللّه ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ

---

(١) ((البخاري)) (٧/٤٤) (٥٢٦٧) واللفظ له، و((مسلم)) (٢/١١٠٠) (١٤٧٤)، و((مسند الإمام أحمد)) بنحوه (٤٣/٤١) (٢٥٨٥٢)، وغيرهم

(٢) ((فتح الباري)) (٩/٢٩٠).

﴿أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [التحريم: ٢]..) ثم سـرد طرقا وختم البحث بقول: (وهذه طرق يقوّي بعضها بعضاً فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السّببين معاً)[١].

وهذه الروايات تكشف أصل الأمر، سليماً من شوب الضلالة التي قال بها القوم، وتبين أن الدافع من وراء ذلك كله غيرةُ زوجةٍ على زوجها، كما هو شأن النساء فيما بينهن، حتى لتدفع الغيرةُ الواحدة منهن إلى فعل ما لا يليق، وترك ما ينبغي.

فهمـا زوجتـان غارتا،، فكان منهما اتفاق: أيما واحـدة منا دخل عليها النبي فلتقل على سبيل الاستفهام أن به ريح مغافير، فهل أكل مغافير؟[٢] فأنزل الله تبارك وتعالى آياته، عظةً لهما عن فعل ذلك، ودعوة بالتوبة من هذا الفعل الذي لا ينبغي مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد مال قلباهما رضي الله عنهما إلى ترك النبي صلى الله عليه وسـلم الجلـوسَ لأمنا زينب، وهذا من الجور، الـذي نهاهما الله عن فعله، والتوبة منه!

يقـول الإمام البغـوي رحمه الله تعالى في تفسـيره: (﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤] خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة. ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤] فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله عليه الصلاة والسلام بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه)[٣].

---

(١) ((المصدر السابق)) (٨/٦٥٧) باختصار.

(٢) المغافير: صَمْغٌ يسِيل مِنْ شَجَرِ الْعُرْفُطِ حُلو، غَيْرُ أَن رَائِحَتَهُ لَيْسَتْ بِطَيِّبَة. انظر: ((لسان العرب)) (٧/٣٥٠)، وكان النبي أنقى الناس وأطهرهم، فكره أن يجد منه نساؤه رائحة غير طيبة.

(٣) ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) (٥/ ٢٢٤).

وفي تفسير الإمام الشوكاني قوله: (﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] الخطاب لعائشة وحفصة، أي: إن تتوبا إلى اللّه فقد وجد منكما ما يوجب التّوبة، ومعنى صغت عدلت ومالت عن الحق، وهو أنّهما أحبّتا ما كره رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وهو إفشاء الحديث. وقيل: المعنى: إن تتوبا إلى اللّه فقد مالت قلوبكما إلى التوبة)[١].

وقال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: («صغت»: بمعنى مالت ورضيت وأحبّت ما كره رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم)[٢].

فهذا من الخطأ الذي نشأ من فرط المحبة، لا من سوء القصد، فقد فرحت أمنا حفصة رضي الله عنها بما عزم عليه النبي، وأنستها نشوة الفرح أمر النبي صلى الله عليه وسلم لها بكتمان ما أخبرها به، وهي ليست بالمعصومة، ولا أمنا عائشة بالمعصومة، ووقوع الخطأ من الكبار لا يقدح في صلاحهم، ولا ينتقص من فضلهم، وإنما تتجدد نفوسهم بالتوبة، وتكون أرقى حالا، وأعلى منزلةً قبل الوقوع في المخالفة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فليس شرط التقوى حصول العصمة من الخطأ ولا من الكبيرة التي يوفق العبد للتوبة منها، بل قد يقع التقي في الكبيرة كما حصل من حاطب رضي الله عنه، ويكون ما سلف من حسناته، وما تلا من أفعاله، ماحيا لهذا الخط وإن كان عظيما.

---

(١) ((فتح القدير)) (٥/٢٩٨، ٢٩٩).

(٢) ((أضواء البيان)) (٨/٢٢٠).

وأُمُّنــا الصديقة رضي الله عنها من الديانة والورع وحســن الســمت والهَدي، والزهادة في الدنيا والإقبال على الله، وسرد الصوم وسعة الجود والكرم، بالمحل الرفيع، كما سبق وأشرنا إلى مثل هذا فيما تقدم من بحثنا المختصر في فضائلها، وكذا كانت أمنا حفصة رضي الله عنها صوامة قوامة، بشــهادة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال فيما رواه الحاكم من حديث أنس يرفعه: ((قال لي جبريل: راجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة))[1].

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فدعاهما اللّه تعالى إلى التّوبة، فلا يظنّ بهما أنّهما لم يتوبا، مع ما ثبت من علوّ درجتهما، وأنّهما زوجتا نبيّنا في الجنّة، وأنّ اللّه خيّرهنّ بين الحياة الدّنيا وزينتها وبين اللّه ورســوله والدّار الآخرة، فاختــرن اللّه ورســوله والدّار الآخرة، ولذلك حرّم اللّه عليــه أن يتبدّل بهنّ غيرهنّ، وحــرّم عليه أن يتزوّج عليهنّ، واختلف في إباحــة ذلك له بعد ذلك، ومات عنهنّ وهــنّ أمّهات المؤمنين بنصّ القرآن. ثمّ قــد تقدّم أنّ الذّنب يغفر ويعفى عنه بالتّوبة وبالحسنات الماحية وبالمصائب المكفّرة)[2].

وهذا هو اللائق بأمهاتنا أمهات المؤمنين، وشرفهن الفاضل، وصلاحهن المتيقن، ولــن تجد موقرا لأولياء الله إلا أهل الســنة الذين يحكمون بالعــدل، ويزنون الأمور بالقسط، فليس فيهم جفاء الغلاة، ولا جرأة المفترين.

---

(١) ((الحاكم في المستدرك)) (٤/١٦) (ح٦٧٥٣)، وحسنه الشيخ الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢/ ٨٠٢) (٤٣٤٨).

(٢) ((منهاج السنة النبوية)) (٤/٣١٤).

الصِّلُّ السابع: اغتسالُها بين يدي الرجال!

وهذا من الإفك الذي نشأ عن فسق التصور لدى الرافضة؛ حيث يعرضون الروايات مصحوبة بتصوراتهم الفاسدة، ثم يفسرونها تفسير أعوج، ليس له من هدف إلا الطعن في أم المؤمنين رضي الله عنها.

فقد أحدث الشيعة الرافضة في منتدياتهم ومجالسهم صخبا غثا، حول حديث رواه أهل السنة صحيحا، عن أبي سلمة قال: (دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة، فسألها أخوها عن غسل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: فدعت بإناءٍ نحواً من صاعٍ، فاغتسلت، وأفاضت على رأسها، وبيننا وبينها حجاب)[1].

فيصخب الرافضة في منتدياتهم ويطعنون، ويقولون: عائشة كانت تغتسل عارية بين يدي الرجال! وهل كان أبوها الخليفة جاهلا ليلجأ إليها الناس للسؤال عن الغسل؟ وهل هناك رجل لا يعرف كيفية الغُسل؟ ولماذا لم تقتصر في حديثها إليهما على الإبانة بالكلام، دون الفعل؟!

ثم يتكلمون بالبذاءة الطاعنة في أم المؤمنين، كأنهم يتكلمون عن شخصية تجمع الشر ولا تعرف للخير فضيلة، نسأل الله العافية من الضلال والزيغ.

وكلما أنعم الإنسان النظر في افتراءات القوم، وما يحدثونه من شبه، يجد صفات ثلاثا لا تتخلف عنهم:

- الجهل بقواعد الشرع.
- الجهل بالعربية.

---

(١) ((البخاري)) (٥٩/١) (٢٥١)، و((مسلم)) (٢٥٦/١) (٣٢٠).

● الحقد المتوقد على أمنا الصديقة رضي الله عنها والتماس أي سبيل للطعن فيها.

هـــا هم أولاءِ يعمِدُون إلى هذه الرواية الصافية؛ ليخلصوا منها إلى الزعم بأن أم المؤمنين اغتسلت أمام أعين الرجال!

ولدحض هذه الفرية يقال:

أولاً: لقد ثبت في الرواية أن ثمة اغتسالا وقع، ولكن هل ذكرت الرواية أنه كان بمشهد من الرجال؟ أم أن هنالك سترا وحجابا يحجب أم المؤمنين رضي الله عنها؟!

إن أبا سلمة يقول: (وبيننا وبينها حجاب)، والحجاب لغة هو الستر، والستر لا يكون معه مشاهدة ولا معاينة، فإذا قيل لعاقل: احتجِب، فلن يفهم من هذا الأمر أن يَشْخَصَ للناس، ويبرزَ لهم حتى يروه!

ولذا أمر الله رب العالمين نســـاءَ المؤمنين بالحجاب، وعقلاء الناس لا يفهمون من الحجاب إلا الســـترَ لا التعرية، والحجْبَ لا التكشف، وهذا واضح بيِّنٌ لا يحتاج إلى تقرير.

والرواية التي يطعن بها القوم ويقولون أمام الرجال، فيها كلمة تسد الأفق وهي: (وبيننا وبينها حجاب)، وفي رواية النسائي: (فَسَتَرَتْ سِتْراً)[1].

فلم يكن هنالك معاينة ولا مكاشــفة ولا ما يدور في الأذهان المتصلة بالقلوب المريضة، ولكن يأبى الرافضة إلا التدليس!

ثانياً: إن الرواية ذكرت أن اللذين ســألا هما أبو سلمة، وكان إذاك قبل البلوغ،

---

(١) ((السنن الكبرى)) للنسائي (١/١٦٣)، (٢٢٧).

وأخ لأمنا عائشة من الرضاعة، فهما غلامان صغيران، أحدهما أخ لأمنا من الرضاعة- اختلف في تعيينه من هو[1] - والآخر صبي دون البلوغ أبو سلمة جاءا أمنا رضي الله عنها يسألانها عن غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: (والظاهر: أن أبا سلمة كانَ إذ ذاك صغيراً دون البلوغ، والآخر كانَ أخاها من الرضاعة)[2].

فلم يكن هنالك كما هول الرافضة جماعة من الرجال! وإنما هما شاب صغير وأخ من الرضاعة لا غير.

ثالثاً: يقول الرافضي: ومن الذي لا يعلم كيفية الغسل حتى يضطر للذهاب لعائشة سائلا إياها عنه؟!

ونسي الرافضي- لما في قلبه من المرض- أن السؤال لم يكن عن كيفية الغسل بإطلاق هكذا، وإنما كان عن كيفية غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر لا يعلمه أحد على وجهه الأمثل إلا مَن كان مطلعا على سره وهن زوجاته رضي الله عنهن، وأعلمهن وأكثرهن فقها بإطلاق واتفاق- كما مر معنا- أمنا عائشة رضي الله عنها.

رابعاً: هل يقول عاقل إن أمنا رضي الله عنها عندما أرادت تعليم أخيها وأبي سلمة، ألقت عنها ثيابها، واغتسلت دون ثياب؟! وهل يستلزم تعليم الغسل إلقاء الثوب؟! وليس شرطا أن يكون اتخاذ الحجاب من أجل نزع الثياب، بل لقد بالغت

(١) قيل: عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وقيل الطفيل بن عبد الله، وقيل عبد الله بن يزيد، وقيل بل كثير بن عبيد انظر: ((الفتح)) (١/١٦٥).

(٢) ((فتح الباري)) لابن رجب (١/٢٤٩).

أمنا رضي الله عنها في التســـتر من أجل أن إذا مس الماء جسدها ألا تصف الثياب بشرتها عند التقاء الماء.

خامســاً: هل يعتقد الرافضة أن بيوت أمهات المؤمنين كانت موحشة لا يزورها أحد، ولا يغشــاها طلبة العلم من المسلمين والمسلمات يستفتون ويتعلمون أحكام دينهم؟! بل كان الناس يغشون بيوتات النبي صلى الله عليه وسلم سائلين مستفتين، وكن النســاء يدخلن على أمهات المؤمنين ليتفقهن في دينهن، وكانت أمنا رضي الله عنها مقصد الكل لوفرة علمها ولحدة ذهنها رضي الله عنها.

وكانت أمنا رضي الله عنها تبلغ النســوة بعض الأحكام التي تســتحي من أمر الرجال بها؛ لتمام عفتها وسمو أخلاقها، رضي الله عنها.

فهذه معاذة تروي عن عائشــة قالت: (مرن أزواجكنّ أن يســتطيبوا بالماء فإنّي أستحييهم فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم كان يفعله)[1].

وكان النســاء يجتمعن عند أم ســلمة مثلا، وتؤمهن في الصلاة[2]، أو عند أمنا عائشة رضي الله عنهن[3]، كانت بيوت نساء النبي صلى الله عليه وسلم بيوت علم وعبادة وفقه، ولم تكن بمنأى عن الســائلين، أو بعيدة عن المسترشــدين، في مجتمع ينبض بالعلم وحب الدين والرغبة في الخير والهداية.

---

(١) ((سنن الترمذي)) (١/٣٠) (١٩) بسند صحيح، و((سنن النسائي)) (١/٤٢) (٤٦)، و((مسند أحمد)) (٤٢/٢٣٣) (٢٥٣٧٨).

(٢) ((مصنف عبد الرزاق)) (٣/١٤٠) (الأثر رقم٥٠٨٢)، و((مصنف ابن أبي شيبة)) (١/٤٣٠) (أثر رقم ٤٩٥٢).

(٣) ((مصنف عبد الرزاق)) (٣/١٤١) (أثر رقم ٥٠٨٧).

فـــإذا ما تقرر ذلك -وهو ثابت- وكانت أمنا من العلم بالشـــرع، والفقه به في المحل الســـامي، ومن الحياء التام بما قد علمنا، وضعنا هذه الرواية في موضعها الذي يليق بها، بعيدا عن هذا الخبث الذي يهرف به الرافضة ومن شايعهم؛ إذ يصورون في أذهانهم المريضة امرأة تضع عنها ثيابها، وتغتســـل أمام الرجال، بلا حياء ولا ستر، مما لا يليق بآحاد نساء المؤمنين فضلاً عن مثال الطهر والنقاء أمنا عائشة رضي الله عنها.

وكيف يصح للقوم تصور وقوع هذا وَفْقَ فسقِ تصوُّرِهم والبيوت والناس والمدينة حالها كمـــا علمنا، يروح فيها الناس ويغدون، ســـائلين مســـتفتين، وبيوت أمهاتنا معروفة، وبيت أمنا خاصة معلوم القدر والمنزلة والمكانة ففيه دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه؟!

سادساً: يقول الرافضي: لم لا يذهبون إلى والدها الخليفة ليعلمهم؟!

ونعوذ بالله من ضعف العقول وانتكاس الأفهام!

من المعلوم المقرر عقلا وشرعا أن الإنسان مطالب بسؤال العالم عندما يتيسر له ذلك، وليس مكلفا أن لا يسأل إلا عالما واحدا يختصه بالسؤال دون غيره.

ولـــو لم يكن للنـــاس إلا رجل واحد يرجعون إليه ويصدرون عنه، لما اســـتطاع عالم أن ينهض وحده بهذا العبء الثقيل. فإذا كان السائل ذاهبا بمسألته فلقي عالما فسأله كفاه ذلك، ولم يكن محتاجا لسؤال عالم بعينه في كل ما يعن له بل هو مطالب بالسؤال لمن يرى فيه العلم لا غير.

ثم إن من المقرر أن موضوع السؤال يوجه الشخص لمن يراه أدرى به وأكثر إحاطة وعلما بطبيعته، وهذا الشأن الذي كان السؤال عنه شأن يتعلق بسر النبي وخبيء أمره

من الاغتســـال وكيفيته، وليس هناك أعلم بذلك من زوجاته، وأحبهن وأعلمهن أمنا عائشة، فكان من سداد الرأي ورشاده أن يتوجه السائل إلى أم المؤمنين.

ثم هل يستلزم من سؤال السائل لأمنا عائشة اعتقاده بنقص علم الصديق رضي الله عنـــه، فانصـــرف عنه وتوجه لابنته؟! وهل إذا فات فاضـــلا فرع من فروع العلم ينقص ذلك من علمه وقدره وجلالته، هذا إن كان فاته أصلا؟!

ثم هل يتوجب على السائل في الأمة ألا يتوجه بسؤاله إلا للخليفة؟!

ألا إن العقليـــة التي تلبســـت بفكرة المرجع الأوحد، الـــذي يصدر الناس عنه ويرجعون إليه، ويحكم فيهـــم، ويلزمهم حكمه، بالتقليد والإذعان.. هذه العقلية لا زالت آثارها باديةً على تصور الشيعي وفكره وفهمه للأحاديث، مما يجعله متحيرا في فهم دلالات النصوص، فلا يكون منه إلا إلقاء الشـــبهات وصب الافتراءات على خير الناس وأطهرهم رضي الله عنهم.

سابعاً: إذا تقرر هذا البيان عن سياق الرواية ومعناها وطبيعة السائلين، وطبيعة البيت الـــذي فيه الرواية، وطبيعة المجتمع الذي أحاط بها، وهيئة أمنا رضي الله عنها في إجابتها السائلين عن كيفية اغتسال النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا فرغنا من تقرير هذا، علمنا جواب ما حاك في صدر الرافضي إذ قال: لم لا تكتفي عائشة بشرح الغسل قولا، وقامت بتنفيذه عمليا؟

فيقـــال: إن أم المؤمنين رضي الله عنهـــا كانت من النصح للأمة والحرص عليها بالمكانـــة الباذخـــة، ومن نصح المفـــتي تمام الجواب، وكماله، بحيـــث يثبت في ذهن السائل، وينفي كل ما قد يتدر في ذهنه من الإشكالات والأسئلة، وهذا ما يسميه

أهل العلم (جواب الحكيم). يقول الإمام ابن قيم الجوزية: (يجوز للمفتي أن يجيب السّائل بأكثر ممّا سأله عنه، وهو من كمال نصحه وعلمه وإرشاده، ومن عاب ذلك فلقلّة علمه وضيق عطنه وضعف نصحه)[1].

وقد أجمع كل مَن سلك سبيل العلم والتعلم أن التعليم بالفعل أوقع من التعليم بالقول، وأمنا من تمام فقهها لم تنتظر استشكال أخيها وأبي سلمة لقدر الماء الذي كان به غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأرادت قطع مادة هذا الإشكال الذي ربما يرد عليهما بالفعل، دون الاكتفاء بالقول، فالسؤال لم يكن عن الكيفية مجردا، وإنما عن الكيفية والكمية معا، فكان في إفاضتها الماء على جسدها واتخاذها الحجاب دونهما من تمام النصح، وكمال التعليم، ورجاحة العقل، تقر به أعين المنصفين الذين يحفظون النبي في زوجه الصديقة رضي الله عنها؛ حيث أبانت بما يقطع الشك أن هذا القدر القليل من الماء–وهو صاع– كافٍ للاغتسال، وأن هذه هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم بلا تزيد ولا إسراف، في هيئة عملية تعليمية تحسم جدل الأذهان التي تستبعد كفاية مثل هذا القدر من الماء، وهذا هو الذي يلوح راجحاً من تصرف أم المؤمنين أن هذا كان مقصد السؤال الأعظم من أخيها وأبي سلمة، والله أعلم.

ولعل ذلك السر من تبويب أبي عبد الله البخاري الباب بقوله: (باب الغسل بالصّاع ونحوه)[2].

---

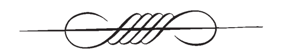
(١) ((إعلام الموقعين)) (١٢١/٤).

(٢) ((صحيح البخاري)) (٥٩/١).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (في فعل عائشة دلالة على استحباب التّعليم بالفعل لأنّه أوقع في النّفس. ولما كان السّـؤال محتملاً للكيفيّة والكمّيّة ثبت لهما مـا يدلّ على الأمرين معاً أمّا الكيفيّة فبالاقتصار على إفاضة الماء وأمّا الكمّيّة فبالاكتفاء بالصّاع)[1].

فأي شـيء يبقى في العقول إذا ما رأى بعض الناس الفضيلةَ رذيلةً، وحُسـنَ التعليمِ سوءَ أدبٍ، وتمامَ التصوُّنِ قلةَ حياء، وكرمَ العِلمِ سوأةً يعتذِرُ المرء عنها؟!

وفيما يعرض من بحثنا إن شـاء الله أكاذيـب أخر وافتراءات، تلتحق بـ (محاق الإفك)؛ لأنها مما صنعت السـلولية أتباع عبد الله بن أبي ابن سـلول، من الطعن في عرض النبي صلى الله عليه وسـلم، ورمي أم المؤمنين الطاهرة النقية بالفاحشـة عياذا بالله ولياذا بجنابه الرحيم.



(١) ((الفتح)) (١/٣٦٥).



الفصل الثالث

مُحَاق الإِفكِ

الفصل الثالث

مُحَاق الإِفك

وهــذا فصلٌ مجموع لنزع هذا المحــاق الذي اختلقه أهل الإفك من الســلولية والصفوية والسبئية[١]، الذين عجزوا عن طمس الحق، فاخترعوا الروايات الكاذبة طعنا في عفة أم المؤمنين، ورميا لها بالفاحشة.

وقد زور القوم الصفحات المتكاثرة التي غصت بها كتبهم، وصرحوا بالإفك المبين الــذي لا يطيق مؤمن حر أن يطالعه، فضــلاً عن اعتقاده، وما كان ذلك إلا ضغنا وحقدا على صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم، في أحب زوجاته إليه؛ أمنا الصديقة رضي الله عنها وأرضاها، وسوف نرى من كلام القوم الطعن الصريح البين في شخص النبي صلى الله عليه وسلم ذاته، وفي إبائه وشرفه وغيرته وكمال رجولته، بأبي هو وأمي عليه صلوات الله وسلامه.

وسوف يكون الحديث عن حادثة الإفك مقسما إلى نقاط رئيسة:

١- قصة الإفك وما بها من الفوائد والعبر مما يبين فضل الصديقة، ويقطع دابر المجرمين.

٢- عرض الإفك الذي شحنت به كتب القوم، والافتراءات التي ساقوها، والتوقف خاصةً عند مارق سود مائة صفحة بعقيدته الدنسة لإقامة الأدلة والبراهين على أن

---

(١) الصفوية نسبةً إلى الشاه إسماعيل الصفوي الذي فرض الرفض بالحديد والنار، وكان حرباً على السنة وأهلها وعلى الخلافة الإسلامية، والسلولية نسبةً إلى عبدالله بن أبيٍّ ابنِ سلول، رأس النفاق الذي تولى كِبرَ حديث الإفك.

أمنا الصديقة رضي الله عنها زانية في كتاب منشور منذ شهور!

٣- ذكر ما تناسل من هذه الصورة المظلمةِ من روايات وأكاذيب وافتراءات، كُلُّها طاعن صراحة أو إشارة في خُلُقِ أمنا وشرف أمنا رضي الله عنها.

بين حديث الإفك:

هذه سياقة حديث الإفك كما في دواوين السنة الصحيحة:

(عن ابن شـــهابٍ، قال: أخبرني عروة بن الزّبير، وسعيد بن المسيّب، وعلقمة بن وقّاصٍ، وعبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بن مســعودٍ، عن حديث عائشة رضي اللّه عنها، زوج النّبيّ صلّى الله عليه وســلّم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرّأها اللّه ممّـــا قالوا، وكلّ حدّثني طائفـــةً من الحديث وبعض حديثهم يصدّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعضٍ الّذي حدّثني عروة، عن عائشة رضي اللّه عنها زوج النّبيّ صلّى الله عليه وســلّم قالت: كان رســول اللّه صلّى الله عليه وسلّم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم معه.

قالت عائشـــة: فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها فخرج ســـهمي، فخرجت مع رسول اللّه صلّى الله عليه وســلّم بعدما نزل الحجــاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه، فسرنا حتّى إذا فرغ رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلةً بالرّحيل، فقمت حين آذنوا بالرّحيل فمشـــيت حتّى جاوزت الجيش، فلمّا قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبســني ابتغاؤه، وأقبل الرّهط الّذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الّذي كنت ركبت، وهم يحسبون أنّي فيه، وكان النّساء إذ

ذاك خفافاً، لم يثقلهنّ اللّحم، إنّما تأكل العلقة من الطّعام، فلم يستنكر القوم خفّة الهودج حين رفعوه، وكنت جاريةً حديثة السّنّ فبعثوا الجمل وساروا.

فوجدت عقدي بعدما استمرّ الجيش فجئت منازلهم وليس بها داعٍ، ولا مجيب، فأممت منزلي الّذي كنت به، وظننت أنّهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطّل السّلميّ ثمّ الذّكوانيّ من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمّرت وجهي بجلبابي، ووالله ما كلّمني كلمةً ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه، حتّى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الرّاحلة، حتّى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظّهيرة، فهلك من هلك.

وكان الّذي تولّى الإفك عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهراً، والنّاس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيءٍ من ذلك وهو يريبني في وجعي، أنّي لا أعرف من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اللّطف الّذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنّما يدخل عليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيسلّم ثمّ يقول: ((كيف تيكم؟)) ثمّ ينصرف، فذاك الّذي يريبني ولا أشعر بالشّرّ حتّى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أمّ مسطحٍ قبل المناصع وهو متبرّزنا، وكنّا لا نخرج إلّا ليلاً إلى ليلٍ، وذلك قبل أن نتّخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التّبرّز قبل الغائط، فكنّا نتأذّى بالكنف أن نتّخذها عند بيوتنا.

فانطلقت أنا وأمّ مسطحٍ وهي ابنة أبي رهم بن عبد منافٍ، وأمّها بنت صخر

بن عامرٍ خالة أبي بكرٍ الصّدّيق، وابنها مســطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأمّ مســطحٍ قبل بيتي، وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أمّ مسطحٍ في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتســبّين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي.

فلمّا رجعت إلى بيتي، ودخل عليّ رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم تعني سلّم، ثمّ قــال: ((كيف تيكم)) فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويّ، قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أســتيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، فجئت أبــويّ فقلت لأمّي: يا أمّتاه ما يتحدّث النّــاس؟ قالت: يا بنيّة هوّني عليك، فواللّه لقلّمــا كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجلٍ يحبّهــا، ولها ضرائر إلّا كثّرن عليها، قالت: فقلت سبحان اللّه، أولقد تحدّث النّاس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك اللّيلة حتّى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنومٍ، حتّى أصبحت أبكي، فدعا رســول اللّه صلّى الله عليه وسلّم عليّ بن أبي طالبٍ وأسامة بن زيدٍ رضي اللّه عنهما حين استلبث الوحي، يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأمّا أســامة بن زيدٍ فأشار على رســول اللّه صلّى الله عليه وسلّم بالّذي يعلم من براءة أهله، وبالّذي يعلم لهم في نفســه من الودّ، فقال: يا رسول اللّه، أهلك ولا نعلم إلّا خيراً، وأمّا عليّ بن أبي طالبٍ فقال: يا رســول اللّه لم يضيّق اللّه عليك، والنّســاء ســواها كثير، وإن تســأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم بريرة، فقال: ((أي بريرة، هل رأيت من شيءٍ يريبك؟)) قالت بريرة: لا والّذي بعثك بالحقّ، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها، أكثر من أنّها جارية حديثة السّنّ،

تنام عن عجين أهلها، فتأتي الدّاجن فتأكله.

فقام رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، فاستعذر يومئذٍ من عبد اللّه بن أبيٍّ ابن سلول، قالت: فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم وهو على المنبر: ((يا معشر المسلمين من يعذرني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فواللّه ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلّا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلّا معي)) فقام سعد بن معاذٍ الأنصاريّ، فقال: يا رسول اللّه أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحميّة، فقال لسعدٍ: كذبت لعمر اللّه لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضيرٍ وهو ابن عمّ سعد بن معاذٍ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر اللّه لنقتلنّه، فإنّك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيّان الأوس والخزرج حتّى همّوا أن يقتتلوا، ورسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم قائم على المنبر، فلم يزل رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم يخفّضهم حتّى سكتوا، وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنومٍ، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنومٍ، ولا يرقأ لي دمع، يظنّان أنّ البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم فسلّم ثمّ جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد (لبث) شهراً لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهّد رسول

اللّه صلّى الله عليه وسلّم حين جلس، ثمّ قال: ((أمّا بعد يا عائشة، فإنّه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئةً فسيبرّئك اللّه، وإن كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري اللّه وتوبي إليه، فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه ثمّ تاب إلى اللّه تاب اللّه عليه)).

قالت: فلمّا قضى رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم مقالته قلص دمعي حتّى ما أحسّ منه قطرةً، فقلت لأبي: أجب رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم فيما قال، قال: واللّه ما أدري ما أقول لرسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، فقلت لأمّي: أجيبي رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، قالت: ما أدري ما أقول لرسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السّنّ لا أقرأ كثيراً من القرآن: إنّي واللّه لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث، حتّى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلت لكم: إنّي بريئة، واللّه يعلم أنّي بريئة لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ واللّه يعلم أنّي منه بريئة لتصدّقنّي، واللّه ما أجد لكم مثلاً إلّا قول أبي يوسف، قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، قالت: ثمّ تحوّلت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أنّي بريئة، وأنّ اللّه مبرّئي ببراءتي، ولكن واللّه ما كنت أظنّ أنّ اللّه منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلّم اللّه فيّ بأمرٍ يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم في النّوم رؤيا يبرّئني اللّه بها.

قالت: فواللّه ما رام رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، ولا خرج أحد من أهل البيت حتّى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتّى إنّه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يومٍ شاتٍ، من ثقل القول الّذي ينزل عليه، قالت:

فلمّا سرّي عن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم سرّي عنه وهو يضحك، فكانت أوّل كلمةٍ تكلّم بها: ((يا عائشة، أمّا اللّه عزّ وجلّ فقد برّأك)) فقالت أمّي: قومي إليه، قالت: فقلت: لا واللّه لا أقوم إليه، ولا أحمد إلّا اللّه عزّ وجلّ، فأنزل اللّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ * لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ * لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ * وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ * وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ * يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ * وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ١١-٢٠] العشر الآيات كلّها.

فلمّا أنزل اللّه هذا في براءتي، قال أبو بكرٍ الصّدّيق رضي اللّه عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: واللّه لا أنفق على مسطحٍ شيئاً أبداً بعد الّذي قال لعائشة ما قال، فأنزل اللّه ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] قال أبو بكرٍ: بلى واللّه إنّي أحبّ أن يغفر اللّه لي، فرجع إلى مسطحٍ النّفقة الّتي كان ينفق عليه، وقال: واللّه لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم يسأل زينب ابنة جحشٍ عن أمري، فقال: ((يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟)) فقالت: يا رسول اللّه أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلّا خيراً، قالت: وهي الّتي كانت تساميني من أزواج رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، فعصمها اللّه بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك)[1].

وقد أنزل الله تبارك وتعالى آياتٍ تتلى في محاريب المسلمين إلى يوم القيامة في تبرئة أمنا مما قال أهل الزيغ والإفك، وغضباً على من تكلم في عرض خليله، وغيرةً على محارم صفوته من العالمين، وتربية للمؤمنين وتأديبا، في بيان يأخذ القلوب أخذا من هول التهديد، وشدة الغضب على من اخترع هذا الإفك، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ١١ – ٢٦] وإنما قالت أمنا رضي الله عنها (العشر آيات)، تجوزاً بطريق إلغاء الْكَسْر[2].

وهذه الحادثة الكبرى، فيها من الفوائد والعبر الكثير، وسنتوقف فيها عند ما يخص فضل أمنا وانتصار رب العالمين لها، وغضبه الشديد، ووعيده لمن تولى كبر

---

(١) البخاري في مواضع من ((صحيحه)) (١٧٣/٣) (٢٦٦١)، (١١٦/٥) (٤١٤١)، (١٠١/٦) (٤٧٥٠)، ومختصرا في (١١٣/٩) (٧٣٦٩). ومسلم (٤/ ٢١٢٩) (٢٧٧٠). وفي ((المسند)) (٤٠٤/٤٢) (٢٥٦٢٣).

(٢) ((فتح الباري)) (٤٧٧/٨).

هـــذا الإفك من المنافقين قديما وحديثا، ثم نتبع ذلك بذكر ما في كتب الأفاكين من القدماء والمحدثين.

الضوء الأول: الصديقة المحتسبة النقية:

في الحديث فضل ظاهر وتبيان لما كانت عليه أمنا الصديقة رضي الله عنها من شـــرف الأخلاق وتمام السمو؛ إذ كانت مع صلاحها رقيقة القلب، طاهرة النفس، تأتي ما تأتي من الأمر صافية من كَدَرِ التكلف، ومن ثقل التعقيد. يصدق فيها قول النبي صلى الله عليه وســـلم في صفة أهل الجنة ((يدخـــل الجنّة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطّير))[١].

ويدل على هذا أمور عدة في هذا الحديث الجليل:

١- فها هي يسقط منها عقد ضئيل القيمة، فتتأخر بحثا عنه، وطلبا له، غير ملتفتةٍ لتعقيدات الحياة، ولا لأعباء النفوس الحاقدة..وإنما كان سلوكها ببراءة النقاء، حتى كان ما كان من أهل الإفك والبهتان.

٢- فراغها من حديث الناس وتلقف الأخبار، فلم تكن سمَّاعةً للنميمة، ولا خائضة في الغيبة، وهذا من نقاء النفوس الشريفة التي تُقبل على شأنها، ولا تجعل من نفسها أذناً لاقِفَةً لكل شيء، ولساناً يخوض في أي شيء.

٣- شهادة الخادمة لها بالنقاء وكمال الخلق، وبراءة القلب، وليس فيها من عيب سوى نومها عن عجين البيت حتى تأتي الداجن[٢]، فتأكل العجين، وهذا من المدح

(١) ((صحيح مسلم)) (٤/ ٢١٨٣) (٢٨٤٠).

(٢) والداجن: الشاة تألف البيت. ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٣٤٧).

الرفيع، كقول النابغة مادحاً:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائبِ

١- دخولها المدينة في **هودجها**، وهي لا تظن أن يبلغ ببعض الناس السوء أن يقولوا في تلك البريئة الطيبة ما يقولون، حتى إنها لما علمت من بعد قالت: (فجئت أبويّ فقلت لأمّي: يا أمّتاه ما يتحدّث النّاس؟ قالت: يا بنيّة هوّني عليك، فواللّه لقلّما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجلٍ يحبّها، ولها ضرائر إلّا كثّرن عليها، قالت: فقلت سبحان اللّه، أولقد تحدّث النّاس بهذا؟) استنكرت تلك الطيبة النبيلة أن يتهاوى بعض الناس في مثل هذا القول الخبيث.

وقد أشارت الآيات إلى هذه الصفة في أمنا رضي الله عنها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ٢٣].

والغافلات ها هنا تعني: (السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر)[١]. وكذا كانت أمنا رضي الله عنها.

١- رَدُّها غيبة مِسْطَحٍ، وقد خاض فيها، عندما أساءت أم مِسْطَحٍ القول فيه، وسكوتها عن مشاركتها القول بعد أن علمتْ ما اشترك فيه من ترديد ما قاله المنافقون. ولو كانت -وحاشاها- ذات قلب قاسٍ، لتكلمت بالغضب العارم والقول الغليظ انتصاراً لنفسها، وحين الانتصار يُدْرَجُ ما يقوله المرء- وإن كان غليظاً- في باب الاعتذار، فكيف بما يمس كيانَ المرأة وشرفها؟!

(١) ((الكشاف)) للزمخشري (٣/٢٢٢).

٢- شهادتها لأمنا زينب رضي الله عنها بالفضل والديانة والورع، وهذا من طهارة قلبها ونقاء نفسها؛ حيث تكلمت بالثناء المضيء عن جارتها، مع ما كان بينهما من منافسةٍ في تحصيل الفضائل، وتلمُّس أسباب القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت قولة الصدق الطاهر عن جارتها أمنا زينب رضي الله عنها: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ.

وثناؤها على سعد بن معاذ رضي الله عنه، وبيانها لصلاحه وأن ما كان منه إنما هو على سـبيل الحمية والتعصب، لا قدحا في إيمانه، ولا تنقصا من قدره، فقالت: (فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحميّة). وهذا لا يكون إلا من نفس شريفة فاضلة.

١- ليس في الحديث كله غَضْبَةٌ للنفس بكلمةٍ نابية، ولا بقول جارح، ولا بإشارة حتى، وإنما هي نفس ربانية، تحتسب وتعف عن الخوض بالقول فيمن خاضوا فيها بالإفك، أو سمعوا لمن خاض فيها!

١- رقة قلبها رضي الله عنها؛ إذ كانت تحس ذلك القلق الخفي من تغير النبي صلى الله عليه وسلم وحزنه الذي منع عنها ذلك المعهود من لطفه وحنانه عندما كانت تمرض. ولكنها أسرَّت هذا الحزن الرقيق في قلبها، واكتفتْ بذلك السؤالِ النفسيِّ الذي لا يعبر عنه لسانٌ بكلام. وهذا الحزن إنما ينبعث من قلب المحبِّ الذي تتكدر نفسه لتغير من يحب في سلوكه معه، ولكنه يضمر حياء الحزين في عدم التصريح بما في قلبه انتظارا لإقبال من يحب عليه، حتى يكون ذلك أبهج للنفس والقلب معاً. وهكذا كانت أمنا؛ حياءً ونبلا وشرف نفس، حتى مع أحب وأجل الناس صلى الله عليه وسلم.

٢- كان في ازدياد المرض على أمنا الصديقة عند سماعها ما قال أهل الإفك فيها، دليل كبير على شرف هذه النفس. فإن النفس كلما كانت طاهرة صافية، كلما كان وقع قول السوء فيها أليما، وإنما تعبر تلك الكلمات القاسية بغير النفوس الشريفة فلا تحدث عندها ألما لقسوة القلب وغلظ الكبد. ولذا كان الهم باديا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يبين في منطقه وسلوكه هذا الأسف الحزين، لما يقال عن أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم.

ولقد صحب هذا المرضَ الذي ألَمَّ بجسد الصِّدِّيقة دمْعٌ لا يكاد يتوقف من أثر الإفك، وشدة الصدمة ووقع الألم في النفس ودَوِيِّه، حتى لتقول عند علمها بما قيل: (فبكيت تلك اللّيلة حتّى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنومٍ، حتّى أصبحت أبكي)، ثم تقول من بعد: (فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنومٍ، ولا يرقأ لي دمع، يظنّان أنّ البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي). وهذا البكاء لا يكون إلا من نفس راقية وقلب طاهر، يجد مس الحزن الكاوي، ولا يتكلم إلا بعينيه، دمعا باكيا.

١- كان في ذهول أمنا رضي الله عنها بعد الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم، وقد انقطع عن الكلام إليها والحديث معها-كما هي عادته الشريفة- شهرا كاملا، فكبُر عليها أن يكون بدء الحديث إليها كلاماً ظاهره الحياد، وترك أمر براءتها لرب العالمين، ودعوتها، إن كان وقع منها ما قيل- وحاشاها- للتوبة والاستغفار..كان في هذا الذهول المفاجئ الذي أسكت عينيها عن الدمع ولسانَها عن الكلام دليلٌ

مبين على فراغ نفسها من هذا الذي رُمِيَتْ به، ولم يكن يخطر لها على بال، ولا يدور في خيال.

فإن المفاجأةَ تَدل على نفي العلم السابق بما فاجأ الإنسانَ، وخلو ذهنه منه، وأن ما وقع له لم يكن ليتوقَّعَه، مما أشعر أَمَّنَا بالعجز عن تَحَمُّل سماع مثل هذا الحياد من فم النبي صلى الله عليه وسلم، والذي تعلم أنه يعلم براءتها يقينا بلا شك.

فأمسكت عن البكاء، وقد أحسَّتْ أن حزنها أوسعُ من هذا الدمع، وهي تقول عن ذلك: (فلمّا قضى رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم مقالته قلص دمعي حتّى ما أحسّ منه قطرةً!).

ثم التفتتْ إلى أبيها وأمها ليدفعا عنها ما قيل، فأمسكا، فازداد الكرب على النفس المكلومة، وأحست أن لابد من كلمةٍ وقد ضاقت عليها الأرض، وضاق عليها صدرها بما فيه من هم وحزن، وضاقت عينها بدمعها، فلم تجد إلا رب العالمين تستعينه، وتشكو بثها وحزنها إليه، في بيان لا يكون إلا من قلب تقي أسيف، متوجهة إليهم بالعتاب الباكي والدفاع الأسيف الذي لا يتصور أن يقال مثل هذا: (فقلت وأنا جارية حديثة السّنّ لا أقرأ كثيراً من القرآن: إنّي واللّه لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث، حتّى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلت لكم: إنّي بريئة، واللّه يعلم أنّي بريئة لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ واللّه يعلم أنّي منه بريئة لتصدّقنّي، واللّه ما أجد لكم مثلاً إلّا قول أبي يوسف، قال ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]) ولا ينطق بهذا الكلام إلا لسان موصول بقلب نقي، أثقله أن يقال

ما لم يخطر له ببال يوما ما، فضلا عن أن يتورط فيه.

١- يبزغ في هذا الحديث الجليل هذا الورع الصادق، وهذه الخشية الزكية؛ حيث لم نسمع قط في هذا الحديث كله، وألسنة أهل الإفك تخوض فيما تخوض، والأسماع تسمع، والأنفس قد تحملت ما تحملت، والصديقة الصِّدِّيقة، لها من الفضل والحظوة والمكانة عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين ما لها، ولكنها لم تركن لشيء من هذا، وتواضعت لربها، وافتقرت إليه، لا ترى لنفسها- وهي في هذه السن الصغيرة؛ حيث كان لها من العمر أربع عشرة سنة- شأنا، ولا تحسب نفسها من ذوي التميز الذين يتكئون على ظنهم بأنفسهم، فيزكون أنفسهم وهم ليسوا على شيء!

فالصديقة أمُّنا وهي في تلك السن الصغيرة، لم تقرأ الكثير من القرآن، لها تلك القدم الراسخة في الزهد، وهضم حظ النفس، والتواضع للرب تبارك وتعالى، وهو شيء يخلو منه الكثير من الكبار، تهتدي إليه الصديقة المبجلة؛ الطيبة المطيبة، في تلك السن التي يقع فيها من الصغير ما يقع من الزهو والتعالي والعجلة وسرعة الغضب والاعتداد بالنفس.

لكن الصديقة الصغيرة كانت كبيرة النفس شريفةً، تقول عن نفسها: (وأنا حينئذٍ أعلم أنّي بريئة، وأنّ اللّه مبرّئي ببراءتي، ولكن واللّه ما كنت أظنّ أنّ اللّه منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلّم اللّه فيّ بأمرٍ يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم في النّوم رؤيا يبرّئني اللّه بها).

ولذا كان الفرج أقرب إليها مما تأمل، وكان أكبر وأكرم وأعظم أثرا وأجل قدرا مما تتوقع، إذ يوحي رب العالمين لنبيه صلى الله عليه وسلم آياتٍ في براءتها، تتلى وتقرأ

وتحفظ في الصدور والسطور، ويمتد هديها الخالد عبر الأزمنة والأمكنة والعوالم كلها، تشهد بطهارة أمنا المباركة، بقول أحكم الحاكمين ورب العالمين.

وقد أبان الزمخشري فأحسن، عن تلك الآيات الجليلة قائلاً: (ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به من العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف. واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة. كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها.

حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنّ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يسأل عن تفسير القرآن، حتى سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك.

ولقد برّأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها. وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه. وبرّأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: إني عبد الله. وبرّأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه

المعجز المتلوّ على وجه الدهر، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات.

فانظر، كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلا لإظهار علوّ منزلة رسـول الله صلى الله عليه وسلم، والتنبيه على إناقة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأوّلين والآخرين، وحجـة الله على العالمين. ومن أراد أن يتحقق عظمة شـأنه صلى الله عليه وسـلم وتقدّم قدمه وإحرازه لقصب السـبق دون كل سابق، فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمّل كيف غضب الله في حرمته، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه)[1].

١- إخلاصها التوحيد لرب العالمين؛ لتمام صدقها وسلامة قلبها؛ حيث لم تتوجه لأقرب الناس وأجلهم بالشكر، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما حمدت رب العالمين تبارك وتعالى، حمداً خالصاً من الالتفات لأحد من المخلوقين، نقيا من رؤية النفس، فلما قالوا لها: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: (لا واللّه لا أقوم إليه، ولا أحمد إلّا اللّه عزّ وجلّ)، إخلاصا لله في التوحيد، ومعاتبة محبة للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: (إنّما قالتْ ذلك إدْلالاً كما يدُلُّ الْحبيبُ على حبيبِهِ)[2].

ويعلق شـيخ الإسـلام ابن قيم الجوزية رحمه الله على موقف أمنا عائشة هذا، بعد أن حبس الوحي عن رسـول الله شـهرا في هذا الأمر، مبينا الحكمة من ذلك، قائـلاً: (ولتتمّ العبوديّة المرادة من الصّدّيقة وأبويها، وتتمّ نعمة اللّه عليهم، ولتشـتدّ

(١) ((الكشاف)) (٢٢٣/٣، ٢٢٤).

(٢) ((فتح الباري)) (٤٧٧/٨).

الفاقة والرّغبة منها ومن أبويها، والافتقار إلى اللّه والذّلّ له وحسن الظّنّ به والرّجاء لـه، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النّصرة والفرج على يد أحدٍ من الخلق، ولهذا وفّت هذا المقام حقّه لما قال لها أبواها: «قومي إليه»، وقد أنزل اللّه عليه براءتها، فقالت: «واللّه لا أقوم إليه ولا أحمد إلّا اللّه هو الّذي أنزل براءتي»)[1].

وقد سكت النبي صلى الله عليه وسلم تطييباً لخاطرها ورعاية لما مس قلبها وآلمها، ووجهه مشرقٌ بالفرحة وتبرئة رب العالمين لزوجته الصديقة رضي الله عنها.

فتلك اثنتا عشرة عينا تفجرت بالطهر في صحراء الإفك اللاهبة، تروي فؤاد كل مؤمن، فخراً بأمه الصديقة، وحمداً لرب العالمين بتشرفنا بالانتساب إليها.

الضوء الثاني: وقفة عقلية في سلوك الصِّدِّيقة المرضية:

وها هنا وقفة لدفع الإفك باعتماد النظر العقلي المجرد في سلوك أمنا الصديقة رضي الله عنها، حتى دون النظر في فضائلها، ولا فيما صح لها من منزلة، ولا في كلام رب العالمين تبارك وتعالى، ولا في حديث خليله صلى الله عليه وسلم، وإنما سأصرف الكلام في نقاط موجزة تعتمد سلوك أمنا قاعدة بذاته لدفع الريبة والإفك عنها؛ حتى تدل دلالة قاطعة أن هذا السلوك ليس سلوك أهل الريب، وإنما هو سلوك الأصفياء الأنقياء.

أولاً: كان خروج أمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفق ما جرت به سنته صلى الله عليه وسلم في الإقراع بين زوجاته عند خروجه مسافرا، فأيتهن خرج سهمها خرجت معه، فلم يكن من أمنا إعداد للخروج، ولا تدبير له، وإنما هي سنة النبي

(١) ((زاد المعاد)) (٣/٢٣٤).

صلى الله عليه وســلم معهن. وأهل الريب يعدون العدة ويجهزون أنفســهم بالتدبير فيما بينهم، وليس هذا بحاصل هنا.

ثانياً: لم يكن لتأخر أمنا عن الجيش قَصْدٌ أو إرادة، إنما هي حاجة الإنسان التي تطــرأ عليه فيذهب لقضائها، ولــو كان منها الريب لم يكن رجوعها لنفس مكانها، وإنما كانت تنأى بعيدا؛ لأن الرجوع لنفس المكان مَظِنَّةُ أن يرجع إليها أحد، لاسيما النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يأنس إليها ويسايرها في الطريق. وليس هنالك مريبٌ يضمر في نفســه الريبة وهو يقصد أن يكون بمكان يسهل وصول الناس إليه، فإن هذا مما يفسد على أهل الريب تدبيرهم.

فــكان في رجوعها إلى مكانها الذي غادرته دليلٌ عمليٌّ على ســلامة القصد وخلــوص النية من أقــوال أهل الإفك. فهي تقول: (فأممت منــزلي الّذي كنت به، وظننت أنّهم سيفقدوني فيرجعون إليّ).

ثالثــاً: رجوع أمنا في نحر الظهيرة، أمام أعين الناس، وتحت ضوء الشــمس، لا تســتتر بليل، ولا تختبئ بريبة، وإنما جاءت القوم يقود زمام ناقتها صفوان بن معطل والشمس متوهجة في الأفق. وأهل الرَّيْب يتخيرون هدأة الليل وستر الظلام يتخفون فيه، ويتأخرون بعيدا عن أعين الناس؛ كي لا يراهم أحد وهم عائدون.

وإذا صح هذا عقلا، وهو صحيح، فإن دخول أمنا في نحر الظهيرة، مُبطل لقول كل ذي نفس خبيثة شــريرة، وقد كان يمكن لغيرها إن كان مريبا أن يتعلل ويتسبب بما يؤخره لليل، أو أن يدخل مفارقًا صاحبه الذي ركب معه الجُرمَ، فيرجع كل واحد منهما إلى المدينة بمفرده، لا أن يكونا معًا، فالرجوع في النهار بل في نحر الظهيرة دليل

ساطع على البراءة وسلامة النية.

رابعاً: لم يكن رجع صفوان رضي الله عنه شيئا استثنائيا في هذه الغزوة، بل كان هذا حاله، يكون في الساقة -مؤخرة الجيش- يتفقد حال من يتخلف في سيره، أو يُرجع إلى أصحاب الأمتعة ما يجده ساقطاً منهم عادةً في الطريق وهم لا يشعرون.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (ووقع في حديث ابن عمر بيان سبب تأخّر صفوان ولفظه سأل النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أن يجعله على السّاقة فكان إذا رحل النّاس قام يصلّي ثمّ اتّبعهم فمن سقط له شيء أتاه به وفي حديث أبي هريرة وكان صفوان يتخلّف عن النّاس فيصيب القدح والجراب والإداوة)[1].

وإذاً فهي عادة يعلمها الكل عنه، ويستطيع أي صحابي في الجيش أن يدرك صفوان ويلحق به عند تخلفه عن الجيش، فلم يكن هذا شأنا سريا، ولا فعلا استثنائيا. وصاحب الريب لا يسير حسب ما اعتاد الناس منه، بل يفارق ما عرفوه منه وألفوه، ويلتوي في سلوكه ويتخفى، حتى يحقق ما يريد.

وهذا منتفٍ في حق صفوان رضي الله عنه، فبطلت فرية الكذابين.

خامساً: عادة أهل الريب التوجس والقلق، وملاحقة الناس بالحديث إليهم، وتتبع الخبر، واستراق السمع، وتتابع الأسئلة القلقة: هل عرف أحد؟ هل كان كذا؟ ماذا قيل؟!

ولم يكن هذا من شأن أمنا رضي الله عنها، بل عادت إلى بيتها مصحوبة ببراءة النفس وطهارة القلب، مصابة بوعكة ألزمتها البيتَ، فلم نسمع أنها سألت عن

(١) ((فتح الباري)) (٨/٤٦١، ٤٦٢).

شيء لم تعلمه، ولا تتبعتْ خبرا، ولا أظهرت توجسا وخوفا. بل كل الذي يملأ عليها فكرهـــا حزنا وألما هو غياب اللطف النبوي الرحيم عنها عندما تمرض. هذا، وحده، هو الذي كان يشـــغلها، فتقول: (لا أشعر بشـــيءٍ من ذلك وهو يريبني في وجعي، أنّي لا أعرف من رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم اللّطف الّذي كنت أرى منه حين أشـــتكي، إنّما يدخل عليّ رســـول اللّه صلّى الله عليه وسلّم فيسلّم ثمّ يقول: (كيف تيكم؟) ثمّ ينصرف، فذاك الّذي يريبني ولا أشعر بالشّرّ حتّى خرجت بعدما نقهت).

لا تشـــعر بالشـــر، ولا تحس به؛ لأنها لم تقترب منه أصلا ولا فعلته، ولا يحس الشر ويعرف وقوعه أحدٌ أسْرع من الذي وقع فيه!

لكنّ أمنا ما علمت شيئا من ذلك، ولا عرفته إلا قَدَراً، ولم نرَ في حديثها حرفا ينبئ عن خوفٍ مكتوم.

سادســـاً: ذَبُّها عن مِسْـــطَح فور أن سمعت أمه تقول: تعس مســـطح، ودفعها ذلك القول ناهية أمه عن ذلك، ذاكرة فضله وأنه من أهل بدر. فلو كانت متوجسة مرتابة، مذعورة القلب، لاتخذت من أم مسطح نصيرا لها وعضدا، يسندها ويؤيدها، ولألبتهـــا على من يقولـــون ويخوضون، بل ما كان منهـــا إلا صمت المكلوم، وحزن الكظيم، ودمعة المهموم الذي زاده الخبر مرضا على مرض!

سابعاً: كان في امتناع أمنا عن القيام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بعد نزول براءتها، وغضبها العاتب المحب، دليلٌ لأهل البصيرة بأن هذا ســـلوك من لم يقع منه ذلك الإفك.

فـــإن الذي يتورط في الإفك لا يزال ينتهز الفرصة تلوح له؛ ليهرول معتذرا فَرِحاً

بانصراف التهمة عنه ظاهراً، بينما الحر النبيل إذا ما وقع عليه الظلم ومسه الأذى في أخص ما يُمَسُّ به الإنسان -وهو عِرْضُه- ثم جاءته البراءة، لا يسرع بالهرولة فرحا، وإنما يقوم وقد أثقله الجرح الذي مسه؛ لا تستخفه نشوة البراءة فتنسيه مرارة الأذى، بل يظل معه الألم زمنا حتى يهدأ ويسكن.

فغضب أمنا النبيل، وامتناعها تدللا وحبا وعتابا، لا يخرج أبداً من نفس قد كسرها ذل المعصية، وإنما يخرج من نفس شريفة قد آذاها وقوع أهل الإفك في عرضها، فلم تستطع أن تمسك نفسها من الغضب ولو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد علم منها ذلك، واتسع صدره لذلك؛ لأنه يعلم أن هذا الغضب من سبيكة النبل الذهبية التي تنتمي إليها هذه الصديقة الطاهرة رضي الله عنها..و((النَّاسُ مَعَادِنٌ)) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وهذه نقاط أدرتها استنباطا عقليا من سلوك أمنا، ودلالاته النفسية على طهارتها وبراءتها رضي الله عنها؛ إذ كان سلوكها وحده كافيا في تبرئتها مما خاض فيه أهل الإفك، فكيف وقد تنزلت الآيات المباركات في تبرئتها وتزكيتها والدفاع عنها؟!

ولو توقف أصحاب الإفك بعقولهم، ومَن تدَيَّنوا بالطعن في أمنا، متدبرين واعين، لألجم الواحد منهم صريح العقل عن النطق بما يبطله العقل السوي المؤمن، فضلا عن مخالفته للوحي المعصوم، وللإيمان القويم.

الضوء الثالث موقف النبي صلى الله عليه وسلم وسؤال علي:

كان لابد من عرض موقف النبي صلى الله عليه وسلم من حديث الإفك؛

(١) ((صحيح البخاري)) (٤/١٩٤) (٣٣٨٣)، و((صحيح مسلم)) (٤/ ١٩٥٨) (٢٥٢٦).

لقطع دعاوى المفترين المارقين، الذي يعرضون الأقوال منتزعة من سـياقها، منقوصة غير تامة، مصحوبة بالذهنية الحاقدة المريضة التي تحرف معاني الكلم.

وهذا ديدن أهـل الباطل، يبترونه، أو يحرفون معناه؛ لأن عرض القول كما هو في سـياقته، سـيكون معارضا لما هم عليه من الضلال المبين، ولا يؤذي أهل الباطل مثل أن تطالبهم بالدليل كاملا غير منقوص، مجردا عن الهوى والتحريف، وسـنعرض لهذا بعدُ إن شاء الله.

فنقـول: تواترت الأحاديث واسـتفاضت الآثار التي تتحـدث عن مكانة أمنا وحـب النبي صلى الله عليه وسـلم لها، مما قد عرضنـا لطرف منه في صدر بحثنا في (بيدر الفضائل).

ولا ريب أن النبي صلى الله عليه وسـلم أعلم الخلق بزوجه الصديقة رضي الله عنهـا، وببراءتها ممـا وقع فيه أهل الإفك والبهتان، ولذا آذاه ما قيل أذى شـديدا؛ فالكلام عن عرضه، وفي أحب الناس إليه، وهو أَغْيَرُ الخلق صلى الله عليه وسـلم، قالها لأصحابه عندما بلغته غيرة سـعد، فقال لهم: ((أتعجبون من غيرة سعدٍ، واللّه لأنا أغير منه، واللّه أغير منّي))(١).

وقد كان هذا الغضب والهم معروفين في وجهه وسـلوكه صلى الله عليه وسـلم عند وقوع المردة الأفاكين في عرض أمنا الصديقة، وكان الصحابة وأهل بيته يعلمون عنه ذلك. غير أنه كان تام الصدق والصبر صلى الله عليه وسلم، موقنا في ربه تبارك وتعالى بأنه سينتصر له، ويؤيده، وكان من حكمة رب العالمين أن احتبس عنه الوحي

(١) ((البخاري)) (٩/١٢٣) (٧٤١٦)، و((مسلم)) (٢/ ١١٣٦).

شهرا، والناس يخوضون، كلٌّ على شاكلته. فاحتمل أعباء الصبر وقام لله به خير قيام، والأمر شـــديد على نفسه الشريفة صلى الله عليه وســـلم، يؤذيه خوض الخائضين، ويؤذيه هم أم المؤمنين التي كان يرعاها إذا تعبت، ويحوطها بحنانه وجميل شمائله صلى الله عليه وسلم.

وثقل عليه الأمر الكبير، حتى لم يكن ليتكلم من شدة ما به مع أمنا الصديقة، وإنـــه ليعلم براءتها، ويعلم مرضها، فيكتفي بالقول: ((كيف تيكم؟)) عليه صلوات الله وسلامه.

وإذا كان ذلك كذلك، فلم ســـأل النبي صلى الله عليه وســـلم عن هذا الأمر بعض آله وأصحابه، كعلي وأسامة، وأمنا زينب، وجارية أمنا عائشة رضي الله عنهم أجمعين؟ أكان هذا السؤال على سبيل الشك، وكان جواب علي تأكيدا لهذا الشك كما يقول أهل الضلال؟![1].

وللجواب عن هذا يقال:

أولاً: لقد ظل النبي صلى الله عليه وســـلم صابرا مرابطا على يقينه، في ربه، وفي طهارة زوجه، وكان لابد لهذا العبء الثقيل، وهذا الصبر الجميل أن يتنفس في بعض الأحيان بسؤال العليم الذي يستروح إلى إجابة السؤال من غيره، وهو يعلمها، وهذا مما تأنس به نفس المهموم، ولا تطمئن إليه نفس شاكٍّ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم

(١) كما قال صاحب كتاب: ((خيانة عائشة بين الحقيقة والاستحالة)) (ص: ٢٥) وفي هذا الكتاب ما فيه من البذاءة والسوء، والطعن في أمنا والتعدي عليها بأفحش الفحش وأخبث القول، ما لا يتصور مسلم صدور مثله من كائن ينسب نفسه لهذه الأمة، نسأل الله العافية من سخطه، ورضي الله عن أمنا الصديقة عائشة ولعنة الله تترى على من رماها في عرضها.

أن يشك في أحب الناس إليه وأقربهم منه.

ثانياً: ينســى مــرددو هذا الإفك الضال أن في الحديث قســمَ النبي صلى الله عليه وسلم المؤكد القاطع لألسنة أهل الإفك، على براءة أمنا الصديقة من قبل نزول الآيات، وقد قام بهذه الشهادة بين الصحابة وأمام الناس، قائلا: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فواللّه ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلّا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلّا معي).

فهذا قَسَــمُه الحاســم صلى الله عليه وسلم، يقطع ألســنة من يقولون إن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم كان عن شك، أعلموا عن أمنا رضي الله عنها ما لم يعلمه المعصــوم الموحى إليه من رب العالمين؟! أم أن القــوم في حقيقة أمرهم يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم في شهادته؛ لأنهم يطعنون في عرض خليلته صلى الله عليه وسلم.

وهذا صريح الدلالة في أمر نبينا صلى الله عليه وسلم وقطعه ببراءة أمنا، وأنه ما شكَّ ولا ارتاب، وما كان سؤاله إلا ليستروح بسماع ما يعلمه من الجواب.

ويقول شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى من جملة كلام نفيس ذكره تعليلا لهذا الأمر: (إنّ رســول اللّه صلّى اللّه عليه وســلّم كان هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنّه الظّنّ المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظنّ بها سوءاً قطّ وحاشاه وحاشاها، ولذلك لما استعذر من أهل الإفــك قال: ((من يعذرني في رجلٍ بلغني أذاه في أهلي، واللّه ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلّا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلّا معــي))، فكان عنده من القرائن الّتي تشــهد ببراءة الصّدّيقة أكثر ممّا عند المؤمنين،

ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنّه بربّه وثقته به، وفّى مقام الصّبر والثّبات وحسن الظّنّ باللّه حقّه حتّى جاءه الوحي بما أقرّ عينه، وسرّ قلبه وعظّم قدره وظهر لأمّته احتفال ربّه به واعتناؤه بشأنه)[1].

ولذا جاء جواب علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم، حسما لمادة الهم، ودفعاً للحزن الذي ثقل على النبي صلى الله عليه وسلم، فكان جوابه متضمنا فائدتين جليلتين:

- **الفائدة الأولى**: حسم هذا الهم بترك مادته، فأشار عليه بفراقها، وأن الله لم يضيق عليه، وفي النساء كثيرات غيرها. فابتدأ علي رضي الله عنه كلامه تصعيدا، لكي يستل غلواء الحزن الكامن في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يسكن قلبه ويهدأ باله ويطمئن خاطره، عندما يرى تقديم المؤمنين راحته على راحة أي واحد منهم، وأنه مهما علا قَدْرُ إنسان لديك في قلبك يا رسول الله، فأنت أجل قدرا وأعظم منزلةً في قلوبنا أن يتكدر خاطرك بسببه، وأن تحزن من أجله، بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا.

وهذا كان شأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، لاسيما الكبار الأخيار أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، يقدمون النبي على أنفسهم وأهليهم والناس أجمعين، وكانوا يتجمعون باكين إذا مس النبي صلى الله عليه وسلم هَمٌّ أو حزن[2].

علي في حبه كعمر في حبه!

وإن موقف علي رضي الله عنه ها هنا من حزن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ((زاد المعاد)) (٣/٢٣٥).

(٢) انظر: ((صحيح البخاري)) في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته (٢٨/٧) (٥١٩١).

بســـبب ما قال الأفاكون في أمنا الصديقة، بحسم مادة الحزن وترك أسبابه ولو بفراق أجل زوجاته قدرا وأعظمهن منزلة عنده.

هـــذا الموقف هو عين ما قاله عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وســـلم، عندما شـــاع في الناس أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه، واعتزل في مشربة له، فاستأذن عمر على النبي صلى الله عليه وسلم، فسكت النبي ولم يرد على رباح خادمه، يقول الفاروق رضي الله عنه: (فقلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رســـول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإنّي أظنّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ظنّ أنّي جئت من أجل حفصة، والله، لئن أمرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بضرب عنقها، لأضربنّ عنقها، ورفعت صوتي!)[1].

فهي حفصة ابنته التي فطر على حبها، ولكنه يقسم أن لو أمره النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها لقتلها!

نعم يعرفون لأهل الفضل والمكانة فضلهم ومنزلتهم، ولكنهم رضي الله عنهم لا يصبر الواحد منهم على حزن يمس النبي صلى الله عليه وسلم، فيسارعون إلى مرضاته ولا يبالون بأحد مهما كان، رضي الله عنهم أجمعين.

فهذا هو الذي كان من علي رضي الله عنه، وهو الذي كان من عمر رضي الله عنـــه، ولا يُتَصَوَّر بعمـــر كراهةٌ لابنته عندما قال ما قال، وكذا لا يُتصوَّرُ بعليٍّ كراهةٌ لأمنا عائشة عندما قال ما قال، بل كلٌّ ينطلق من محبة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تعظيم قدره، وتقديمه على كل من عداه، مهما علت منزلته وسمت مكانته.

---

(١) ((صحيح مسلم)) (١١٠٥/٢) (١٤٧٩).

● **الفائدة الثانية:** قول علي: واسأل الجارية تصدقك. إشارة إلى علمه بأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم فضل أمنا عائشة، فدعاه إلى نفي هذا الحزن المر بالاستماع لمن تكون معها وتطلع على خبيء أمرها، وهي جاريتها التي تقوم بشأنها وتخدمها.

فلو كان بعلي سوء ظن، لاكتفى بالإشارة بالفراق، وأن الله لم يضيق عليه واسعا، بل ولأعاد وزاد في ذلك، وجمع له أسبابه، وألح في الحديث عنه.

ولكنه ترك هذا إلى الثاني، وجاءت الجارية فشهدت بالخير، وأثنت على أمنا بما هي أهله، فطابت نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وطابت مشورة علي رضي الله عنه.

فهذا ما كان من أمر الإفك، وتبرئة الله ورسوله والمؤمنين لأم المؤمنين، وملكة العفاف عائشة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنها وأرضاها. فماذا كان من خبر أتباع عبد الله بن أبي ابن سلول؟!

شناعات السبئية والسلولية في أمنا العفيفة:

أبى الرافضة أبوا إلا الطعن في أمنا الصديقة رضي الله عنها، وصرَّح غلاتهم بكفرها ووقوع الفاحشة منها، وافتروا في ذلك من الكذب والبهتان الشيء الكثير، حتى قالوا في أمنا ما يستحي الإنسان من قوله فضلا عن اعتقاده.

فقد زعمت طائفة منهم أن آيات الإفك نزلت في عائشة نعم، ولكن ليس في تبرئتها، بل في الطعن فيها، وتبرئة مارية أم إبراهيم عليه السلام!

روى المجلسي في بحار الأنوار هذه الرواية المفتراة، قائلا: (حدثنا: محمد بن

جعفر، قال: حدثنا: محمد بن عيســى، عن الحسن بن علي بن فضال قال: حدثني عبــد الله بن بكير، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: لما هلك إبراهيم بن رســول الله (ص) حزن عليه رسول الله (ص) حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلاّ ابن جريج! فبعث رســول الله (ص) عليّاً (ع) وأمره بقتله، فذهب علي (ع) إليه ومعه السيف وكان جريج القبطي في حائط فضرب علي (ع) باب البستان فأقبل إليه جريج ليفتح له الباب، فلما رأى علياً عرف في وجهه الشر فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب، فوثب علي (ع) على الحائط ونزل إلى البســتان وأتبعه وولى جريج مدبراً، فلما خشى أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي (ع) في إثره، فلما دنا منه رمى جريج بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته، فإذا ليس له: ما للرجال ولا له ما للنســاء، فانصرف علي)ع) إلى النبي (ص)، فقال: يا رســول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمســمار المحمى أم أثبــت ؟، قال: لا، بل اثبت. قال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، وما له ما للنســاء، فقال: الحمد لله الذى صرف عنا السوءَ أهلَ البيت)[1] يقول المفيد معلقا على هذا الخبر: (خبر افتراء عائشة على مارية القبطية خبر صحيح مُسَلَّمٌ عند الشيعة)![2].

فها هــي الفرية الأثيمة المختلقــة من كتبهم، مصحوبة بتوثيق شــيخ الطائفة ومرجعهــم، يصرفون آيات الإفك الــتي نزلت في المنافقين، تهديــدا ووعيدا إلى أم المؤمنين عائشــة، باعتبارها هي التي افترت هذا الإفك عن مارية، وأن مارية هي التي برأها الله رب العالمين من هذه التهمة!

(١) ((بحار الأنوار)) للمجلسي (١٠٣/٧٦).

(٢) انظر: ((رسالة فيما أشكل من خبر مارية)) للمفيد (٢٩).

وهذا تناقلَه جَمْعٌ منهم، مسطوراً في كتبهم، يعتقدونه بقلوبهم وألسنتهم، وقد أوسعوا أم المؤمنين طعنا مسموما، وجعلوا كل رذيلة مستقبحة ملتصقة بها، رضي الله عنها.

وامتد طعنهم إلى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزعموا أنه كان يعلم خيانتها، ويسكت على ذلك، حتى يتم المهدي صاحب الزمان الأمر، ويقيم الحد على عائشة في قبرها!

قال شيخ مفسري الشيعة القمي بسنده في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] والله ما عنى بقوله (فخانتاهما) إلا الفاحشة، وليقيمن الحد على عائشة فيما أتت في طريق البصرة، وكان طلحة يحبها، فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة، قال لها فلان: لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم، فزوجت نفسها من طلحة(١).

ورووا عن محمد الباقر أنه قال: أما لو قام قائمنا ردت الحميراء (أي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها) حتى يجلدها الحد, وحتى ينتقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام منها, قيل: ولم يجلدها ؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم. قيل: فكيف أخره الله للقائم (ع)؟ قال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله رحمة, وبعث القائم عليه السلام نقمة)(٢).

وقد خرج القائلون بذلك عن إجماع المسلمين، وكذبوا صريح القرآن، وطعنوا في

(١) ((تفسير القمي)) (٢/٣٧٧)، و((البرهان)) للبحراني (٤/٣٥٨)، و((تفسير عبد الله شُبرّ)) (٣٣٨).
(٢) ((روضة الواعظين)) (٢ /٣٦٤، ٣٦٥)، ((الإرشاد)) (ص: ٣٦٤).

عرض النبي صلى الله عليه وسلم، حتى صاروا عبئا على الإسلام وأهله، وفتنةً للذين كفروا، فما تسلل طاعن إلى الإسلام بمثل ذلك الإفك الذي افتراه أولئك المجترئون على رب العالمين.

وقد سلم الله أهل السنة من هذا الشر، فهداهم إلى الحق، وكانوا أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ فقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية- وعليه إجماع أهل التفسير من المسلمين، وهو اعتقادهم- أن الخيانة المقصودة هنا هي خيانة الدين، فقال: (أما إنّه لم يكن بالزّنا، ولكن كانت هذه تخبر النّاس أنّه مجنون، وكانت هذه تدلّ على الأضياف. ثمّ قرأ ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦])[١].

وقال أيضا: (ما بغت امرأة نبي قط)[٢].

وهذا اعتقاد أهل السنة قاطبة، تكلم عنهم ابن عباس حكاية له، لا إنشاءً له.

وأما أمنا عائشة رضي الله عنها، فقد رمتِ المتكلمين في مارية رضي الله عنها بالإفك والزور، ودافعت عنها، وبرأتها من إفكهم، كما روى ذلك الحاكم عنها قَالَتْ: (أهديت مارية إلى رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم ومعها ابن عمٍّ لها، قالت: فوقع عليها وقعةً فاستمرّت حاملاً، قالت: فعزلها عند ابن عمّها، قالت: فقال أهل الإفك والزّور: من حاجته إلى الولد ادّعى ولد غيره، وكانت أمّه قليلة اللّبن فابتاعت

(١) ((تفسير الطبري)) (١٢/٤٣٠)، وعنه سائر المفسرين من بعد، انظر: ((القرطبي)) (١٨/٢٠٢)، و((البيضاوي)) (٥/٢٢٦)، و((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٣٢٧).

(٢) ((القرطبي)) (٩/٦٤) و((تفسير ابن كثير)) (٨/١٧١).

له ضائنة لبونٍ فكان يغذّى بلبنها، فحسن عليه لحمه، قالت عائشة رضي اللّه عنها: فدخل به على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذات يومٍ فقال: ((كيف ترين؟)) فقلت: من غذّي بلحم الضّأن يحسن لحمه، قال: ((ولا الشّبه)) قالت: فحملني ما يحمل النّساء من الغيرة أن قلت: ما أرى شبهاً قالت: وبلغ رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم ما يقول النّاس فقال لعليٍّ: ((خذ هذا السّيف فانطلق فاضرب عنق ابن عمّ مارية حيث وجدته))، قالت: فانطلق فإذا هو في حائطٍ على نخلةٍ يخترف رطباً قال: فلمّا نظر إلى عليٍّ ومعه السّيف استقبلته رعدة قال: فسقطت الخرقة، فإذا هو لم يخلق اللّه عزّ وجلّ له ما للرّجال شيء ممسوح)[1].

وقد أكذب بعض الرافضة، أن يكون نزل التنزيل في حادثة الإفك فيما يخص مارية رضي الله عنها، فهذا ابن أبي الحديد -وهو شيعي جلد- يقول: (وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها -يعني أمنا عائشة- وإنما نزلت في مارية القبطية، وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحدٌ لما يُعلم ضرورةً من الأخبار المتواترة)[2].

وما كان يظن مؤمن رشيدٌ أن بذرة الخبث التي بذرها عدو الله ابن سلول، كانت لتنمو مثل هذا النمو القبيح على يد القوم، حتى تَجَرّأ الأفاكون، فتوسعوا في الاختلاق، والكذب، وتناسَلَ الكذب السلولي، حتى أعلنوا عن هذا القبح الكفور أمام الملأ، وسطروا فيه صحائف الدنس.

---

(١) ((مستدرك الحاكم)) (٤/٤١) (٦٨٢١).

(٢) ((شرح نهج البلاغة)) لابن أبي الحديد (٣/٤٤٢).

وقد أعاد وأبدى أحد المفترين في هذا الشأن، ونسب لأمنا من الشناعات التي لا يتصور وقوعها من أخبث الناس، في لغة أعجمية، وبيان ركيك، يبتدئ به كتابه، مقرراً في سياقة ضلاله المبين، وطعنه في أمنا عائشة، بأنها خالفت أمر ربها (بالقَرْن) في البيت، يقصد القرار![1].

وجعل يبني على تراث أسلافه الكاذب من الروايات المفتراة، أشياء يزعمها حُجَجاً، وهي واهيةٌ متهافتة، تدل على محله من العلم والدين والعقل، أعرض منها مثالين متبوعين بالنقض الموجز؛ إذ كل كتابه كذبٌ فاسِدٌ كمُنشِئِه!

- يقول الأثيم: إن تجويز وقوع الكفر أشنع من تجويز وقوع الزنا، فكيف قلتم بوقوع الأول، وامتناع وقوع الثاني؟[2].

فيقال: ليس أسهل من مناقضة العقل عندما يظلم القلب، فهل هذا التهافت صار حجة يتكئ عليها صاحب الفرية الأثيم؛ لتجويز وقوع الفاحشة من أم المؤمنين؟!

إن من المقرر عقلا أن النفوس تنزعج مما يناقض الفطرة السوية، وتضيق به؛ لأنه شيء يجمع عليه كل عقلاء الأديان، وهو ذلك الأصل الأخلاقي الذي لا ينخرم.

بينما تفسح النفوس المجال للاختلاف العقدي والفكري، لا اعترافا به، ولكن لاختلاف الأذهان والأفهام والعقول. ولكن هذه العقول نفسها، مع اختلاف مشاربها وتعدد مداركها، تجتمع جميعا على أصل أخلاقي لا تخرج عنه، ومَنْ شذَّ عن هذا الأصل صار مُستقْبَحاً مستهجناً عند كل ذي مروءةٍ أيّاً كان دينه.

(١) ((خيانة عائشة بين الاستحالة والواقع)) (ص: ٨).

(٢) ((خيانة عائشة بين الاستحالة والواقع)) (ص: ١٣).

فقد يسكن بجواري، ويصير أمراً مستساغا، جار نصراني، أو بوذي، ولكني لن أقبل برجل يمشي عريانا في الشارع! مع أن الأول فاسد الاعتقاد، والثاني فاسد الأخلاق، لكن النفوس مجبولة على تعظيم حُسْن الخلق، ولو من مخالف في الديانة، واستقباح سوء الخلق ولو من موافق فيها.

ولم نسمع قط أن صالحاً عُيِّر بكفرِ واحدٍ من أهله، وإلا لكان التعيير لاحقاً بالخليل إبراهيم عليه السلام، فأبوه آزر كان عابدا للأصنام، وابن نوح كان كافرا، وأبو طالب مات كافرا، فهل لحق التعييرُ أحداً من أهل الخير لوقوع الكفر من أقربائهم؟!

بينما يكون منكرا مُسْتَقبَحا في كل نفسٍ سويّةٍ أن يمس عرض الإنسان وشرفه، فيقال عنه أو عن أحد من أهل بيته أنه يغشى الخنا، ويتلبس بالفاحشة، فإن هذا هو العار الذي لا يغفر، والمحنة التي لا تُمحى؛ لأن من كسرت أخلاقه، انهدمتْ صورته، وانكسرت قاعدة الإنسانية فيه، ألا وهي الخلق القويم!

ومن علم حال معصية آدم عليه السلام علم صدق ما اتفقت الفطر السوية على استقباحه، فقد وقع منه العصيان عليه السلام بأكل الشجرة، ولكن حصل له الانزعاج الأشد، والضيق الأكيد، والحياء البالغ، عند بدُوّ السوأة، فسارع هو وأمنا حواء عليهما السلام بتناول ما يستر سوءاتهما، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢].

لأن هذا هو الأصل الفطري الذي فطر الله رب العالمين عليه الناس، ولكنَّ الفطرة إذا انتكست، وزاغ صاحبها عن الهدى، رأيت منه هذا الذي ترى.

وهي آيةٌ من رب العالمين مشهودة، وعادة من الله معلومة، أن يهتك ستر أولئك الطاعنين في خليلة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يُسَلِّط عليهم ذاك الذي يؤذون به أولياء الله وصفوته من خلقه، من شيوع الأنكحة المحرمة، والسوءات الأخلاقية الفاجرة، جزاءً وِفاقاً للوقوع في عرض أم المؤمنين رضي الله عنها.

- يقول الأثيم: طالما وقع بعض الناس في عائشة، وقالوا ما قالوا، فلابد وأن يكون هناك شيء؛ لأنه لا دخان بدون نار![1].

فيقال لهذا الأثيم: إن هذا من الفساد الذي يلزم قائله لوازم فاسدة خبيثة، فلو أن كل باطل وقع، وتداولته الألسنة كان دليلا على وقوع شيء منه؛ فإن من لوازم ذلك التسليم بما افتراه المفترون عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم كثرةٌ كاثرة، والتسليم بما قالت النواصب في علي رضي الله عنه؛ فهم كثرة كاثرة، فإن قيل: أولئك قوم ضلال لا تقبل شهادتهم، ولا ما يفترون، قلنا: يلزمكم هناك ما يلزمكم هنا.

فإن قيل: ولكن بشهادتكم يا أهل السنة فإن هناك من وقع في هذا القول من الصحابة، وحَدَّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة؟

قلنا: فرق بين من أنشأ القول ابتداء، وبين من قاله على سبيل الترديد، لا على سبيل الجزم المتيقن. وأيضا: فإننا لا نقول بعصمة أحد من الصحابة أن يقع في الخطأ، أو يتلبس بالمعصية يتوب منها، ولا يُوَافق عليها.

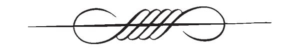
وأيضاً: فما احتجاجكم إن احتججتم إلا بقول منافق معلوم النفاق من شيعة ابن سلول، أو بمن لا تصح ديانته لديكم في اعتقادكم من أصحاب رسول الله صلى

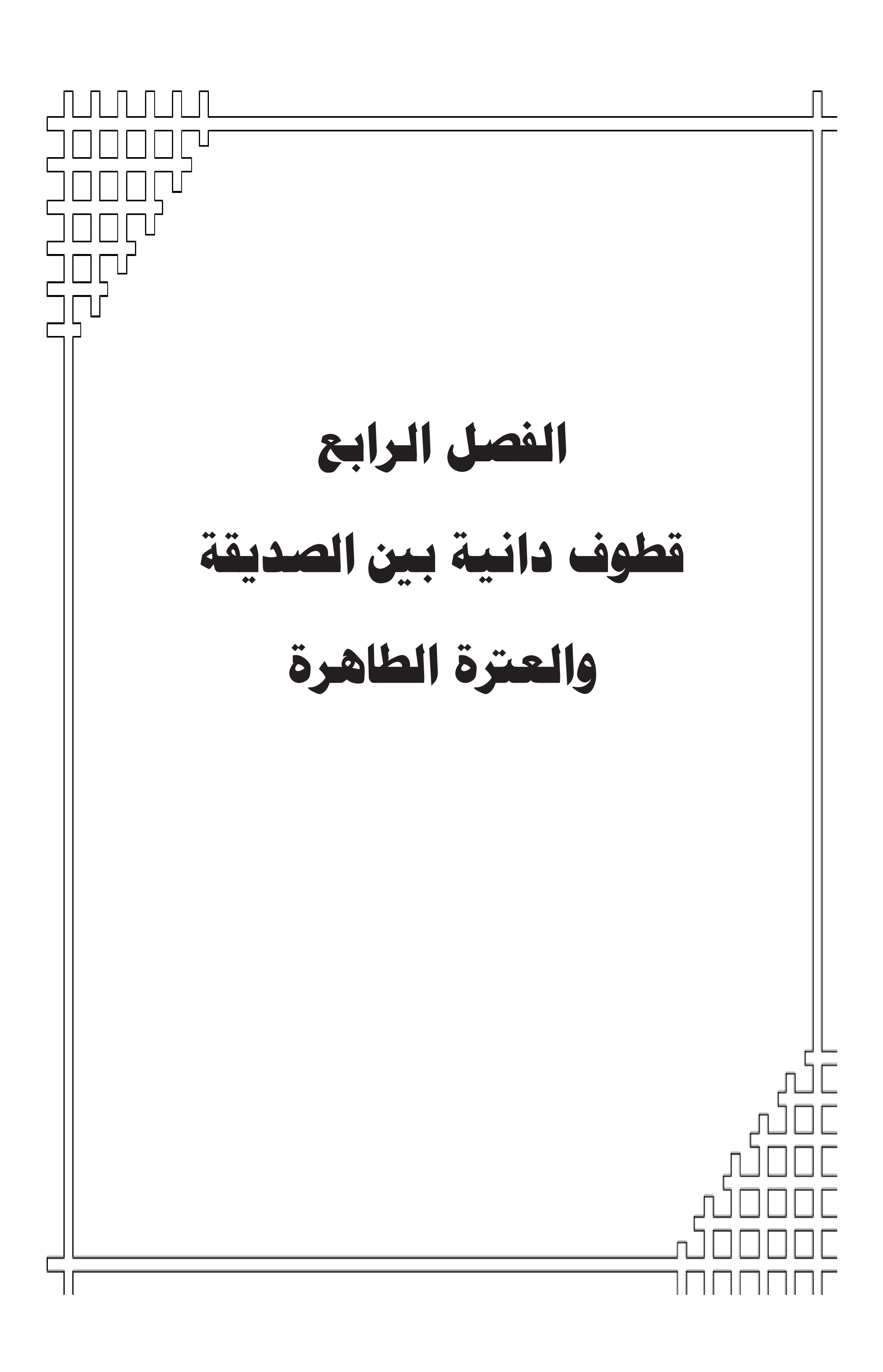
(١) ((خيانة عائشة بين الاستحالة والواقع)) (ص: ٢٥).

الله عليه وســـلم، فقد كفرتموهم، وقلتـــم بِرِدَّتِهم، فمتى صارت أقوالهم حجة لديكم؛ لتستدلوا بها على وقوع الإفك؟!

نســـأل الله العافية من الضلال، والهداية للرشد، والبعد عن مهاوي الفتن ومراتع الهلاك!

وبعد فهذه قصة الإفك، وبعض توابعها في كتب القوم على سبيل الإيجاز الذي يناســـب المقام، وإلا فلهم إفك عريض، ولكن لعل فيمـــا مر بنا كفاية وغنية، والله تعالى هو الجواد الكريم، له المنة والفضل وحده.





الفصل الرابع

قطوف دانية بين الصديقة والعترة الطاهرة

الفصل الرابع
قطوف دانية بين الصديقة والعترة الطاهرة

وهـــذا فصل يعرض لصورة مضيئة عن تلـــك العلاقة الودود، بين أمنا الصديقة رضي الله عنها، وبين آل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وســـلم، تنزع ذلك الضباب الكثيف الذي يســـكن عقول كثير من الناس، حتى ســـتر عنهم هذه الحقيقة المشرقة، بين أمنا عائشة، وآل البيت الطيبين رضي الله عنهم أجمعين.

راوية الفضائل:

فقد كانت أمنا على ما تقدم معنا صافية القلب، طاهرة النفس، تحب الأخيار والصالحين، وكانت من حبها لآل البيت، تحدث بفضائلهم وترويها، وتسر بها. فهي التي روت حديث الكساء، وشهدت بذلك، ونشرته بين الناس.

فقالت رضي الله عنها: ((خرج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم غداةً وعليه مرط مرحّل، من شعرٍ أسود، فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣])).

مع ابنة أبيها رضي الله عنها:

كانـــت أمنا الصديقة تحب أم أبيها فاطمة رضـــي الله عنها وتُجِلُّها، وترى أنها أعقل النساء(١)، وكان بينهما ود ومؤانسة وإخاء، تتحادثان وتتزاوران، فعائشة أحب

(١)(ا) ((لسنن الكبرى للنسائي)) (٣٩٣/٧) (٨٣١١).

زوجــات النبي إليه، وفاطمة أحب بناته إليه رضي الله عنهما، فكان هذا الالتقاء في الفضيلة والطهارة جامعاً بينهما إخاء صادقا، وحبا وثيقا.

سيدة نساء العالمين:

وكانــت أمنا منبعا لبث الأحاديث التي تبين فضــل البضعة الطاهرة رضي الله عنهــا، فهي التي روت مَنقبةً من أجــلِّ وأعظمِ مناقِبِ فاطمة رضي الله عنها، وهي أنها سيدة نساء العالمين.

ففي الصحيحين من حديث أمِّنا عائشةَ رضي الله عنها قالت: (أقبلت فاطمة تمشــي كأنّ مشيتها مشــي النّبيّ صلّى الله عليه وســلّم، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وســلّم: ((مرحباً بابنتي)) ثمّ أجلســها عن يمينه، أو عن شماله، ثمّ أسرّ إليها حديثاً فبكــت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثمّ أســرّ إليها حديثــاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزنٍ، فسألتها عمّا قال: فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، حتّى قبض النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فسألتها، فقالت: أســرّ إليّ: ((إنّ جبريل كان يعارضني القرآن كلّ سنةٍ مرّةً، وإنّه عارضني العام مرّتين، ولا أراه إلّا حضــر أجلــي، وإنّك أوّل أهل بيتي لحاقــاً بي)). فبكيت، فقال: ((أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنّة، أو نساء المؤمنين)) فضحكت لذلك)[1].

أعقل النساء وأشبه الناس بأبيها هديا وسمتا:

وكانت تشــبه فاطمة رضي الله عنهــا بأبيها في هديها وسمتهــا ودَلّها، وتقول مفصحة عن هذا الحب، مبينة فضل فاطمة رضي الله عنها وحب الرسول صلى الله

---

(١) ((صحيح البخاري)) (٢٠٣/٤) (٣٦٢٣)، و((صحيح مسلم)) (١٩٠٤/٤) (٢٤٥٠).

عليه وسلم إياها: عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، عائشة رضي اللّه عنها، أنّها قالت: (ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلّاً - وقال الحسن: حديثاً، وكلاماً، ولم يذكر الحسن السّمت، والهدي، والدّلّ برسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم من فاطمة كرّم اللّه وجهها كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها، وقبّلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبّلته، وأجلسته في مجلسها)[١].

وكانت أمنا عائشة ترى فاطمة رضي الله عنها أعقل النساء[٢].

محبة فاطمة لعائشة:

ولقد كانت أم أبيها رضي الله عنها تحب الصديقة، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها؛ إذ قال لها: ((أي بنيّة ألست تحبّين ما أحبّ؟ فقالت: بلى، قال: فأحبّي هذه. قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فرجعت إلى أزواج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأخبرتهنّ بالّذي قالت، وبالّذي قال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنّا من شيءٍ، فارجعي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقولي له: إنّ أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة: والله لا أكلّمه فيها أبداً))[٣].

فقد سمعت رضي الله عنها أمر أبيها صلى الله عليه وسلم فامتثلت، وهذا الامتثال السريع، يدل على سابق الحب، وصادق الود، إذ لا يتولد حب في لحظة!

---

(١) ((سنن أبي داود بسند صحيح)) (٤/ ٣٥٥) (٥٢١٧).

(٢) ((فتح الباري)) (٨/١٣٦).

(٣) ((مسلم)) (٤/ ١٨٩١) (٢٤٤٢)، و((النسائي)) (٧/٦٤) (٣٩٤٤).

صاحبة السِّرّ:

وظل هذا الحب راسـخا بينهما، يلوح بأماراته وشـواهده في الأفعال والأقوال، فيوم أسـر النبي صلى الله عليه وسلم في مرض وفاته إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها ما أسـر، كان موئل سرها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، هي أمنا الصديقة رضي الله عنها، كما تقدم في صدر الكلام.

ولن يكون صاحب السر، إلا من كان دانيا من القلب، حبيبا إلى النفس، وهذا ما كان بين فاطمة وأمنا عائشة رضي الله عنهما.

الرضا حياة وموتا:

وقـد شـهدت كتب القوم بهذه المحبـة، ولم يكن ذلك قاصـرا على كتب أهل السنة، فقد كانت إذا صنعت طعاما تغرف لأمنا عائشة منه، كما ذكر ذلك الحميري بسنده[1].

وذكر المجلسـي في بحار الأنوار عن علي رضي الله عنه قال: ((دَخَلت السـوق فابتعـتُ لحماً بدرهمٍ، وذُرَةً بدرهم، فأتيت بهمـا فاطمة، حتى إذا فرغت من الخبز والطبخ، قالت: لو أتيت أبي فدعوته! فخرجتُ وهو مضطجع يقول: أعوذ بالله من الجوع ضجيعاً! فقلت: يا رسول الله! عندنا طَعَامٌ. فاتكأ عليّ، ومضينا نحو فاطمةَ، فلما دخلنا قال: هَلُمِّي من طعامنا، ثم قال: اغرفي لعائشة.. فغرفتْ))[2].

وكذلـك ذكر ابن رسـتم الطبري في دلائل الإمامـة أن فاطمة رضي الله عنها

(١) ((قرب الإسناد)) للحميري (١٣٧).

(٢) ((بحار الأنوار)) (١٧/٢٣١).

ماتت وهي راضية عن عائشة، وأنها أوصت لها باثنتي عشرة أوقية[1].

فهـــي صور هادئة وادعة، ليس فيها ما تكذِّب بـــه القوم، واخترعوه، كما هي عادتهم في تشويه الصحابة وآل البيت معا، والله المستعان.

مع أبي الحسن رضي الله عنه:

كانت أمنا عائشـــة رضي الله عنها محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولآل بيته، مقدرة لفضل علي رضي الله عنه وســـبقه وعلمه وفقهه، ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كانت صور هذه العلاقة الطيبة بين علي وبينها متعددة، تشـــمل اعتراف أمنـــا بفضله، وإقراره بفضلها، وإجلاله لها، على الرغم مما كان من تأوُّلٍ واجتهاد في أمر الجمل ســـبق الإشـــارة إليه، لكن كان هذا العارض سحابة عابرة، لم تهطل إلا بالخير والنبل والاعتراف بالجميل بينهما.

وهـــذه قطوف من كرمة هذا الإجلال المتبادل بين الصديقة وبين أبي الحســـن رضي الله عنهما.

عائشة تشهد لعلي بالعلم والفقه:

فهذا شـــريح بن هانئ يأتي ليسألها في مسألة فقهية، فتحيله إلى علي رضي الله عنه ثقة بعلمه واعترافا بفضله وفقهه.

-روى مســـلم عن شريح بن هانئٍ، قال: (أتيت عائشة أسألها عن المسح على

---

(١) ((دلائل الإمامة)) (٤٢).

الخفّين، فقالت: عليك بابن أبي طالبٍ، فسـله فإنّه كان يسافر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[1].

-وفي رواية أخرى عنه قال: (سـألت عائشة، عن المسح على الخفّين، فقالت: ائت عليّاً فإنّه أعلم بذلك منّي)[2].

عائشة تدعو الناس إلى بيعة علي:

(بعد مقتل الشـهيد التقي عثمان رضي الله عنه، أتى الأحنف إلى أمنا ليسألها من يبايع، فـروى يقول: (قدمنا المدينة ونحن نريد الحـجّ، قال الأحنف: فانطلقت فأتيـت طلحة والزّبـير فقلت: ما تأمراني بـه وترضيانه لي، فإنّي مـا أرى هذا إلّا مقتـولاً) يعني عثمان، قالا: نأمرك بعليٍّ، قلت: تأمراني به وترضيانه لي، قالا: نعم، ثمّ انطلقت حاجّاً حتّى قدمت مكّة، فبينا نحن بها إذ أتانا قتل عثمان، وبها عائشـة أمّ المؤمنـين، فلقيتها فقلت: ما تأمرينني به أن أبايع، قالت: عليّ، قلت: أتأمرين به وترضينه؟ قالت: نعم، فمررت على عليٍّ بالمدينة فبايعته)[3].

عندما يتبادل الأخيار الاعتراف بالفضل!

لا شـك أن النفوس إذا ما كانت مسـتقيمة، لم يحرفها ما يعرض من خطأ في القول، أو في العمل، وإنما هي ترجع إلى حميد أخلاقها، وكريم صفاتها.

وقد كان في موقف علي من الصديقة بعد معركة الجمل، وفي حديثها إليه، دلالة

---

(١) ((مسلم)) (٢٣٢/١) (٢٧٦).

(٢) ((مسلم)) (٢٣٢/١) (٢٧٦).

(٣) ((مصنف ابن أبي شيبة)) (١٩٧/٦) (٣٠٦٢٩).

رائعة على هذا التقدير المتبادل بين هاتين الشـــخصيتين المباركتين؛ حيث لم يجعلا من الحرب التي لم يريدها –كما تقدم– ساحة للجور، ولا لنكران الفضل ونسيان الجميل.

وإنه لمشـــهد رائع يصور كيف كانت تلك النفـــوس رفيعة زاكية، لا تلتفت إلى تلك الخصومات العارضة، والاجتهادات المتباينة، فإن النفوس الصادقة مهما تباينت وجهاتها كانت دائما على وفاق في ثبات المبدأ والهدف النبيل.

يروي الطبري في تاريخه، وعنه ابن كثير في البداية والنهاية– واللفظ له– ما كان من علي رضي الله عنه مع أمنا رضي الله عنها، قال:

(ولمّا أرادت أمّ المؤمنين عائشـــة الخروج من البصرة بعث إليها عليّ، رضي اللّه عنـــه، بكلّ مـــا ينبغي من مركبٍ وزادٍ ومتاعٍ وغير ذلـــك، وأذن لمن نجا ممّن جاء في جيشـــها أن يرجع معها، إلّا أن يحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأةً من نســـاء أهل البصرة المعروفات. وسيّر معها أخاها محمّد بن أبي بكرٍ.

فلمّا كان اليـــوم الّذي ارتحلت فيه، جاء عليّ فوقف على الباب وحضر النّاس معه وخرجت من الدّار في الهودج، فودّعت النّاس ودعت لهم وقالت: يا بنيّ لا يعتب بعضنـــا على بعضٍ، إنّه واللّه ما كان بيني وبين عليٍّ في القدم إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنّه على معتبتي لمن الأخيار. فقال عليّ: صدقت واللّه ما كان بيني وبينها إلّا ذاك وإنّها لزوجة نبيّكم، صلّى اللّه عليه وسلّم، في الدّنيا والآخرة.

وسار عليّ معها مودّعاً ومشيّعاً أميالاً وسرّح بنيه معها بقيّة ذلك اليوم – وكان يوم السّبت مستهلّ رجبٍ سنة ستٍّ وثلاثين – وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكّة،

فأقامت بها إلى أن حجّت عامها ذلك، ثمّ رجعت إلى المدينة، رضي اللّه عنها)[1].

فهذا علي يقر بالفضل لأمنا الصديقة، وهي تشـــهد أمام الملأ أنه من الأخيار، وأن مـــا بينهما لم يكن إلا ما يعتـــاده الناس مما يكون بين المرأة وأقارب زوجها، من بعض الغيرة والشد والجذب، والانفعال المؤقت، الذي يعقبه الصفاء، وبعض العتاب الذي لا يلتحق بالجفاء.

وهذا علي يصدق أمنا أمام الملأ أيضا، وأنها زوجة النبي صلى الله عليه وســـلم في الدنيا والآخرة.

وزيادة في الإجلال وإظهاراً للتقدير، يســـير معها أميالا مُوَدِّعا إياها ومُشَـــيِّعاً لها بالتقدير والحفاوة، ولا يكتفي بذلك وهو أمير المؤمنين رضي الله عنه، بل يرى أن قدر أمنا يقتضي منه المزيد من التقدير، فيُسَـــيِّر أبناءَه معهـــا بقيَّةَ اليوم. فالآل وأبناء علي كانوا جميعا في صحبة الصديقة يحفظونها ويقدرونها ويســـيرون ليشيعوها ويودعوها، في مشهد إن لم يكن هو الحب والتقدير، فهو الإجلال والإكبار، رضي الله عنهم أجمعين.

عليٌّ يشهد لأمنا بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم إياها:

(يروي عاصم بن كليبٍ، عن أبيه، قال: انتهينا إلى عليٍّ –رضي الله عنه– فذكر عائشة، فقال: خليلة رسول الله –صلّى اللّه عليه وسلّم–)[2].

وفي هذه الكلمة النبيلة من عليٍّ دليل على أنه لم يكن بينه وبين أمنا عداوة ولا ضغينة ولا بغضاء كما يزعم أهل السوء، بل كان إذا تورط بعض السفهاء ممن يظنون

(١) ((تاريخ الطبري)) (٥٤٤/٤)، وعنه ((البداية والنهاية)) (٤٧٢/١٠).

(٢) ((سير أعلام النبلاء))، وقال عنه الذهبي: هذا حديث حسن (١٧٧/٢).

وقــوع ما وقع في الجمل داعيا إلى النفور بــين علي وأمنا رضي الله عنهما، فيلمزون أمنــا ويطعنون فيها تقربا–بزعمهم– إليه، أنزل بهم العقاب الأليم؛ صيانةً لقدر أمنا وذبا عنها.

علي يُقِيمُ الحَدَّ على من يتناول أمنا بالكلام:

ولم يكن هذا التقدير من أبي الحسن لأمنا تقديرا نابعا من مجاملة تنقضي وترحل، بل من حب وإجلال يبقى ولا يَخْفُت، بالقول والفعل، بل كان يعظم قدرها، ويشتد بالحدِّ على من غمزها رضي الله عنه وعنها، فقد قال له رجل بعد انتهاء المعركة: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَلَى الْبَابِ رَجُلَيْنِ يَنَالَانِ مِنْ عَائِشَةَ. فَأَمَرَ عَلِيٌّ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو أَنْ يَجْلِدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً، وَأَنْ يُخْرِجَهُمَا مِنْ ثِيَابِهِمَا)[1].

عائشة أم المؤمنين على لسان عليٍّ من كتب القوم:

روى أبو جعفر بن بابويه الملقب بالصدوق عند القوم، عن جعفر بن محمد عن أبيه ع قال: قال مروان بن الحكم: لما هزمنا عليٌّ (ع) بالبصرة رد على الناس أموالهم؛ مَــن أقام بينةً أعطاه، ومن لم يقــم بينة حلّفه. قال: فقال له قائل: يا أمير المؤمنين! اقســم الفيء بيننا والسَّــبْي! قال: فلما أكثروا عليه، قال: أيكم يأخذ أم المؤمنين في سهمه ؟!! فكَفُّوا[2].

شهادة ابن عباس الجامعة:

تقدم في البيْدر ذكر هذه الشــهادة، وناســب أن تعاد هنا؛ لأنها من أحد أبرز

(١) ((البداية والنهاية)) (٤٧١/١٠).

(٢) ((علل الشرائع)) (٢/ ٦٠٣) (٣٨٥) باب نوادر العلل.

أهل البيت، وهو الحبر البحر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(فقد جاء عبد الله بن عبّاسٍ، يستأذن على عائشة، فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرّحمن، فقلت: هذا ابن عبّاسٍ يستأذن، فأكبّ عليها ابن أخيها عبد الله، فقال: هذا عبد الله بن عبّاسٍ يستأذن، وهي تموت، فقالت: دعني من ابن عبّاسٍ، فقال: يا أمّتاه، إنّ ابن عبّاسٍ من صالحي بنيك، ليسلّم عليك، ويودّعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته، فلمّا جلس، قال: أبشري، فقالت: أيضاً فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمّداً صلّى الله عليه وسلّم والأحبّة، إلا أن تخرج الرّوح من الجسد، كنت أحبّ نساء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله يحبّ إلا طيّباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء، فأصبح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتّى يصبح في المنزل، وأصبح النّاس ليس معهم ماء فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان ذلك في سببك وما أنزل الله عزّ وجلّ لهذه الأمّة من الرّخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماواتٍ، جاء به الرّوح الأمين، فأصبح ليس للّه مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله، إلا يتلى فيه آناء اللّيل وآناء النّهار، فقالت: دعني منك يا ابن عبّاسٍ: والّذي نفسي بيده، لوددت أنّي كنت نسياً منسيّاً)[1].

---

(١) ((مسند أحمد)) (٤/ ٢٩٨) بسند صحيح.

حُبٌّ متوارث:

وقـد ورث أبناء علـي وفاطمة رضي الله عنهما هـذا التقدير والإجلال لأمنا الصديقة رضي الله عنهم أجمعين. وتمثل هذا التقدير، في:

التسمية بعائشة:

لا شك أن التسمية أمارة حب، وقد حفظت لنا كتب الشيعة عن الأئمة من آل البيت أنهم سموا باسم أمنا عائشة بناتهم.

- فهذا الإمام موسـى الكاظـم رحمه الله ورضي عنـه، كان له بنات ثلاث، عائشة، وفاطمة، وأم سلمة[1].

- وهذا علي بن الحسين رحمه الله ورضي عنه، سمى ابنته عائشة[2].

الرواية عن أمنا رضي الله عنها:

روى الكليـني في الـكافي عن حميد بن زيادٍ عن ابن سماعة، عن محمّد بن زيادٍ وابن رباطٍ عن أبي أيّوب الخزّاز عن محمّد بن مسـلمٍ قال: قلت لأبي عبد اللّه (عليه السـلام): إنّي سمعت أباك يقول: إنّ رسـول اللّه (صلى الله عليه وآله) خيّر نساءه، فاخترن اللّه ورسـوله. فلم يمسكهنّ على طلاقٍ، ولو اخترن أنفسهنّ لَبِنّ. فقال: إنّ هذا حديث كان يرويه أبي عن عائشة، وما للنّاس وللخيار! إنّما هذا شيء خصّ اللّه عزّ وجلّ به رسوله (صلى الله عليه وآله)[3]. وقال المجلسي: موثّق!

(١) ((الإرشاد)) (ص: ٣٠٢، ٣٠٣)، و((الفصول المهمة)) (ص: ٢٤٢)، ((كشف الغمة)) (٢/٢٣٧).
(٢) ((كشف الغمة)) (٢/٩٠,٠).
(٣) ((الكافي)) (٦/١٣٧)، ((بحار الأنوار)) (٢٢/ ٢١٢).

فهــذه رواية عن جعفر الصادق رضــي الله عنه، عن أبيه أنه كان يروي عن أم المؤمنين عائشة، وأنها من زوجات نبينا اللائي اخترن الله ورسوله.

وبهذا يكون قد تم البحث بفضل الله تبارك وتعالى، وله المنة والفضل، فما كان فيــه من خير وتوفيق، فمن رب العالمين وحده، وما كان فيه من خطأ أو ســهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله المسئول أن يمن فيتقبل، وأن يجود فيجزل الثواب..

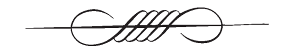
وقد استبان لنا في هذا البحث، جانب من فضل أمنا الصديقة رضي الله عنها، في نقاط محددة:

- نشأتها في بيت الصديق رضي الله عنها.
- منزلتها السامية عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم وعند المؤمنين.
- شمائلها وفضائلها الجليلة التي كانت عليها.
- خلوصها وبراءة صفحتها من طعن أهل الإفك والبهتان، بدلالة العقل ودلالة الشرع.
- شمائلها الذاتية تشهد لها وحدها بالنبل الجليل، وبراءتها من طعن أهل الزيغ والتضليل.
- خروجها يوم الجمل كان للإصلاح لا للقتال، وندمها على الخروج، وتأسفها عليه، مع الجزم بصحة قصدها وصدق نيتها.
- علاقتها الكريمة بفاطمة وعلي وآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم كانت مثالا رائعا لصفاء الأخيار.
- حب أئمة آل البيت لأمنا الصديقة، وتسمية بعضهم لبناتها باسمها.

- فساد تلك النحلة الآثمة التي اتخذت الطعن ديناً، واللعن قُربة، فساد يقتضيه العقل الصحيح والفكر السوي، والقلب البصير.

إلى آخر تلك النقاط التي ضمها البحث، وأشرت هنا إلى أبرزها.

اللهم ارض عن أمنا الصديقة بنت الصديق، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



مراجع البحث

كتاب الله العزيز.

تفاسير القرآن الكريم:

١- تفسـير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. ت: د. عبد المحسن التركي بالتعاون مع مؤسسة هجر - ط: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.

٢- أضـواء البيـان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشـيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣- تفسـير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشـلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

٥- فتح القدير للشوكاني - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ.

٦- الجامـع لأحكام القرآن لأبي عبـد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجـي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، دار العربي - بيروت - ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.

كتب السنة والآثار:

١- صحيـــح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢- صحيح مســلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٤- المجتبى من السنن المعروف بالسنن الصغرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، ت: أحمد محمد شــاكر (ج١، ٢)، ومحمد فــؤاد عبد الباقــي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٦- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني،

ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٧- مسـند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شـعيب الأرنؤوط - عادل مرشـد، وآخرون، إشـراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨- الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس الإمام، ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، ط: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

٩- مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٠- المصنـف للإمـام عبد الرزاق بـن همام الصنعـاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمى، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية عام ١٤٠٣.

١١- الشريعة للآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي – ت: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي - دار الوطن – الرياض.ط: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

شروح كتب السنة:

١- شـرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسـن علي بن خلف بن عبد الملك، ت: أبو تميم ياسـر بن إبراهيم - مكتبة الرشـد - السعودية، الرياض. ط: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وإشراف محب الدين الخطيب، وتعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

كتب الغريب واللغة:

١- غريب الحديث: لأبي عُبيد القاسم بن سلاَّم بن عبد الله الهروي البغدادي. ت: د. محمد عبد المعيد خان. الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد — الدكن، ط: الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢- غريب الحديث: لأبي الفرج ابن الجوزي، ت: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣- لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر — بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

٤- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. ت: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

كتب تخريج الحديث:

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، (لمكتبة المعارف).

٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

كتب السيرة:

١- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

تراجم وطبقات ورجال:

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي يوسف ابن عبد البر- ت: علي محمد البحاوي-دار الجيل -بيروت

٢- آداب الشافعي ومناقبه، لأبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم، ت: عبد الغني عبد الخالق. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٣- تاريخ خليفة بن خياط، ت: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق — بيروت، ط: الثانية ١٣٩٧هـ.

٤- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.

٥- صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٦- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر العقيلي المكي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧- الضعفاء والمتروكون، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب، ط: الأولى ١٣٩٦هـ.

٨- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع، كاتب الواقدي، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: ١٩٦٨م.

٩- لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: دائرة المعارف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ط: الثانية /١٩٧١م.

١٠- المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم ابن حبان، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب، ط: الأولى ١٣٩٦هـ.

كتب التاريخ:

١- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠)،

دار التراث – بيروت، ط: الثانية ١٣٨٧هـ.

٣- تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي-شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت ط ١٩٩٧.

عقيدة ومنهج:

١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

علم المصطلح:

١- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بالسخاوي، ت: علي حسين علي، مكتبة السنة – مصر، ط: الأولى ١٤٢٤هـ.

المراجع الشيعية:

١- إحقاق الحق وإزهاق الباطل، لنور الله ابن محمّد التُستري، المطبعة المرتضوية في النجف - العراق، ١٢٧٣هـ. طبعة حجرية منسوخة بخط أبي القاسم الخوانساري.

٢- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، وقد طبع بنفقة: دار الكتب الإسلامية طهران - إيران.

٣- دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم (الطبري الصغير).

٤- تفسير الصافي: لمحمد المحسن بن الملقب بالفيض الكاشاني.

٥- تفسير العياشي: لمحمد بن مسعود بن عياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران – إيران، صححه وعلق عليه: هاشم الرسولي المحلاتي.

٦- تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي، مطبعة النجف – العراق. منشورات مكتبة الهدى .

٧- خيانة عائشة بين الاستحالة والواقع، محمد جميل حمود العاملي، بلا دار نشر.

٨- الأنوار النعمانية، لنعمة الله الجزائري الموسوي، مطبعة شركة جاب، تبريز – إيران.

٩- كمال الدين وتمام النعمة: لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالصدوق، المطبعة الحيدرية، النجف – العراق، ط١، ١٣٨٩هـ – ١٩٧٠م، قدم له السيد محمد مهدي الموسوي الخراساني.

١٠- الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم: لعلي بن محمّد بن يونس البياضي العاملي، مطبعة الحيدري، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ط١، ١٣٨٤هـ. صححه وعلق عليه: محمد باقر البهبودي.

١١- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: لصدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني.

١٢- شرح نهج البلاغة ،لابن أبي الحديد .ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار

الجيل: ط ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

١٣- علم اليقين في أصول الدين، لمحمد المحسن بن الملقب بالفيض الكاشاني، خال من مكان الطبع وتاريخه.

١٤- كتاب الجَمَل، لمحمد بن محمد بن العكبري الملقب بالمفيد.

١٥- الكشـــكول فيما جرى على آل الرسول، لحيدر بن علي الآملي، مطبعة أمير قم - إيران، ط٢، ١٣٧٢هـ.

١٦- المراجعات، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي.

١٧- من لا يحضره الفقيه: للصدوق، مطبعة جاب، مهر ســتوار قم - إيران. الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، بازار سلطاني، إيران ط٥.

فهرس الموضوعات